

قبيلة أوس

(خاطفو البرائة)

بقلم: مرحاب إبراهيم عجم

إهداء

إلى كل الأرواح المنزقة... هنيئاً لكم الغد

إهداء خاص إلى:

"فريدة إسلام" الفتاة الصغيرة التي وقعت في غرامها منذ ذلك اليوم الذي

أمرتني فيه والدتها بصورتها، أرجو من الله أن تكبري يا صغيرتي

كملكة وتحبي كملكة ويتذكرك الناس كملكة، فأنتِ

ملكة صغيرة نأمل أن تكبر سريعاً بأمان.

(البداية)

بأطراف مرتعشة خبئت وجهها الهزيل وهي تضم ركبتيها النائئ
عظامها إلى صدرها، تأن بألم ورعب من صرخات الفتى الذي
يقبع في الزنزانة قبيحة الرائحة المجاورة لها. ومع شهقات الفتى
المتتالية التي أخذت في الخفوت بعد مدة ليست ببعيدة بسبب ذلك
الهزال الذي صار عليه، أخذت تفكر في القادم لها وهي تتسائل
"هل ستموت هذه المرة وترتاح من عناء الحياة، وتحرر روحها
لترى الشمس من جديد وهي تجتاز السموات محلقة إلى الجنة كما
كانت تقول لها جدتها التي لم تعد ترى لها طيفاً إلا في أحلامها
فقط!.. ومع صوت أزيز فتح باب زنزانتها حلقت قطعة من روحها
مأسورة في قطرة دمع على خدها الذابل.

(١)

وقفت "ثائرة" أمام مدير الجريدة وهي تستشيط غضبًا مكتومًا تستمع إلى وصلة تقريره وتوبيخه لها؛ لمقال كتبت موضوعه مرارًا وتكرارًا بأوجهه الكثيرة المرعبة:

- قلت لك مرارًا وتكرارًا توقفي عن مهاجمة منظمات بعينها في مقالاتك تلك!، هل تريد الطرد؟! ألا تخشين من تهديدات البعض المستمرة لك!؟

حدجته بنظرة نارية من نظراتها غير المستسلمة وقالت بنبرة مُصرة متحدية:

- لن أتوقف أبدًا حتى أجد السبب في السكوت عن اختفاء الأطفال، ولن أسكت بعد ما هاجمني وهددتنني مصادر مجهولة؛ لأن هذا يعني إنني على حق

مسح أستاذ "لطي" مدير الجريدة جبهته المتعرقه وهو يقول لاهثًا بخوف:

- إن كنت لا تخافين على نفسك فغيرك يفعل

ثم ابتلع ريقه بصعوبة مستطردًا:

- أنا لن أستطيع نشر مقالاتك تلك بعد الآن، ولا أريد في نفس

الوقت طردك لأنني ما زلت أكنّ لوالدك الحب والاحترام، لذا

أرجوك لا تضعيني في موقف صعب بعد الآن

نظرت له بجمود ثم قالت:

- حسنًا يا أستاذ لطفي، لن أضعك في موقف صعب بعد الآن

فنظر لها بفرحة، وخرج صوته منتشيًا بانتصار:

- حقًا ستتوقفين عن النشر في هذا الموضوع؟

- لا!

تصنمت ملامحه مرة أخرى بخيبة؛ لتستطرد مرة أخرى بقوة:

- أنا فقط سأتوقف عن وضعك في موقف صعب بعد الآن

- كيف؟!

- لن أنشر مقالاتي في جريدتك يا أستاذ لطفي

فابتسم بسخرية يقول:

- ولن تقبل بك أي جريدة أخرى يا ثائرة

فقالته وهي تعي بصحة كلامه:

- ربما، ولكنني لن أستسلم أبدًا

أخذت أوراقها المتناثرة على المكتب وقبل أن تهم بفتح الباب أوقفها وهو يقول:

- إذا أنا آسف!... أنا مجبر على طردك من الجريدة، ولكن إن استسلمتي وتوقفتي عن نشر مقالاتك تلك لن أطردك أبدًا ولن يطالك أي مكروه

ابتسمت بسخرية وهي تقول:

- كان يجب أن تخبرني منذ البداية دون أن تهدر وقتك ووقتي، ولكن في الحقيقة كنت أعلم هذا منذ البداية فانفجرت عروق جبهته وهو يقول باندفاع قوي:

- سيصيبك مكروه أيتها العنيدة!

- أعتقد إنني إذا توقفت لن يصيبني مكروه أبدًا.. أنظر إلى العالم حولك جيدًا يا أستاذ لطفي وقل لي هل هذا عالم يبعث عن الأمان والراحة!، أنت يومًا ما ستندم على كلامك هذا وعن محاولتك في تسبيط عزيمتي عندما يطالك عبث هذا العالم.. العالم الآن يحتاج إلى محاربين

ثم أدارت مقبض الباب وخرجت، وتركت السيد لطفي مكتئبًا على كرسيه بأكتاف منهذلة وعقل مشغول البال.

جلست نائرة على كرسيها وهي تزفر بنفاذ صبر وقلة حيلة،
فاقترب منها زملائها، ونظرت إليهم قائلة:

- أظن أن هذا آخر يوم لي معكم في هذا المكتب يا زملائي

امتعض البعض ولم يتأثر البعض الآخر بطردها، وشمتم آخرون
ومنهم هيثم الذي ظهر صوته واضحًا بشماته جلية:

- سنحزن كثيرًا على فراقك يا نائرة

ابتسمت نائرة بسخرية محاولة كبت غضبها بداخلها حتى لا تظهر
بموقف الضعيف الذي هُزم، وقالت وهي تحاول الاستهزاء به:

- أعلم هذا يا هيثم، وهذا لأنك كنت ستطعن في إحدى
"الحارات" في مهمة من مهمات العمل لولا تدخلني الذي
أنقذك عندما توسطت لك عند كبيرهم، حقًا ستفتقدني لأنك لن
تجد من ينقذك مثلي

فانكفهر وجهه وخُرس لسانه وابتعد بعيدًا عنهم وهم يتضحكون
ويتغامزون عليه، ثم قالت واحدة منهم لها:

- أنا حقًا حزينة لأنك ستتركين الجريدة، أنتِ يا نائرة شعلة
متوهجة من الحماس والنشاط والشجاعة، سنفتقد هذا المزيج،
وسنفتقد مساعدتك لنا دائمًا

وقال آخر:

- أنا لا أرى الكثير ممن يملكون شخصية قوية ومنفردة مثل شخصيتك يا ثائرة، ولكن أخشى أن تلقي حتفك بسببها يوماً ما فنظرت إليهما ونظرت لأعين المحاوتين لها وهي تقول بسعادة:

- شكراً لكم جميعاً على ما تقولونه لي وعلى ما لم تقولونه، أشعر بمحبتكم وخوفكم عليّ، ولكن لا تحزنوا سأظل زميلة لكم وحتى إن لم أعمل هنا، وسأساعد كل من يحتاج المساعدة، لا يتردد أحدكم في طلب المساعدة مني إن احتاجها، ولا تخافوا عليّ فأنا أستطيع المواجهة، ولو كنت أرى فيّ عدم قدرة ما كنت سلكت الطرق الوعرة.

ابتسموا لها وقاموا بمواساتها وملاطفتها كثيراً حتى ذهب كل أحدٍ منهم إلى عمله، ولكن طارق الذي يقف بحزن وصمت مطبق؛ كان عقله مشغولاً بالتفكير في كيفية مساعدتها حتى لمع بعقله حل، فصاح قائلاً:

- ثائرة عندي لك حل، ولكن أتمنى ألا ترفضني

فنظرت له بفضول، وانتبه له البقية، فاستطرد بخفوت هذه المرة:

- هل مازال الفيديو الذي نشرته على صفحتك موجوداً عليها؟

فتذكرت الفيديو بأسى، ثم هزت رأسها بالإيجاب تقول:

- نعم!

- حسناً، قفي وتعالى معى حالاً

فعددت ما بين حاجبيها وهى تنظر إليه بغرابة، فأردف مرة أخرى
معجلاً لها:

- الآن!

انقادت خلفه، وأخذ هو حقيبتها وهو يملى عليها أمره قائلاً:

- اتبعينى

ثم خرجت من الجريدة برفقته بنفاذ صبر وهى لا تعلم بما يفكر،
فنظر إليها مبتسماً:

- أعلم كم أنتِ غاضبة الآن؛ لأننى اقتادك وأنتِ لا تعرفين فيما
أفكر

- وبما إنك تعلم أخبرنى الآن ما هذا الحل اللامع

- امسحى ذلك الفيديو من على صفحتك، واكتبى منشوراً
مضمونه أنكِ سئمتِ البحثِ فى تلك القضية والعمل الشاق

الذى لا يدر عليكِ بالنعف

نظرت له ثائرة بغضب وهى تقول بحدة:

- هل أخرجتنى من الجريدة لتقول لى حلك المستفز هذا!

فابتسم بمشاغبة وهو يقول:

- هذا ليس الحل، بل الخطة
- لا أفهم!
- في الحقيقة أود أن يظن الجميع إنك استسلمت لأنك لا تريدين خسارة الوظيفة، وفي الخفاء تنشرين ما تودين نشره وتفضحين من يستحق الفضيحة، وفي تلك الحالة لن تخسري عمالك ولن تتعرضي للخطر

صمتت تقلب الفكرة في عقلها، فأردف مرة أخرى يقنعها:

- أعلم إنك لا تهابين الوقوف أمام العالم في مناصرة الحق، وأعلم إنك ستفكرين أن هذا ضعف، ولا يجب أن يكون صاحب الحق ضعيف، لكن هذه الفكرة ستحررك من القيود التي ستحاول مهاجمتك وستستطعين إنقاذ الكثير

فنظرت له ثائرة بتمعن، ثم ابتسمت باقتناع وقالت:

- أنت على حق يا طارق، إن كنا نريد إنقاذ الكثير يجب علينا التخفي حتى نستطيع ان نصل؛ كما تخفت تلك المنظمات العميقة حتى وصلت لما تريد وأصبحت بتلك القوة
- لكن لا تنسي يا ثائرة نحن قلة أمام ذلك الجيش من الملاحين، يجب أن يكون لنا عدة وعتاد
- لا تيأس!، الله معنا، وإن شاء لن نكون وحدنا سيقف بجانبنا الكثير من أصحاب الحق ومناصريه

ابتسم ونظر لها بود، فأشاحت ببصرها بعيداً، ثم قالت:

- حسنًا، دعنا نفترق الآن

نظر في عينيها وهي تتحاشى النظر إليه، ففهم إنها ما زالت لا
ترضى بأن يجاورها كشریک، ثم قال بنبرة حزينة:

- إذا أراك في الغد

- حسنًا، إلى اللقاء

(٢)

طرقت ثائرة على باب بيتها بنفاذ صبر وهي تحمل أكياس محملة بالطعام؛ ففتح لها شاب في السابعة عشر من عمره، برئ الوجه، يلبس ملابس قطنية سوداء ونظارة بإطار أسود، يحمل جهاز لوجي إلكتروني ومنكب على استخدامه، فتح لها والتف على عقبه للداخل؛ فصاحت به وهي تقول:

- أنت يا أحمق!، خذ أكياس الطعام من يدي

تدارك "سامي" الموقف قائلاً:

- يا إلهي!، عقلي ليس في محله

فنظرت إليه شرراً وهي تقول:

- ألم أنبهك على ألا تفتح الباب دون أن تتأكد ممن خلفه!

- حسناً حسناً!، المرة القادمة سأتوخى الحذر

فصاحت به مغتازة:

- بل ستظل أحمق هكذا ولن تتغير!

فابتسم وهو يضع الطعام على الطاولة وهو يقول:

- حسناً دعينا نأكل أولاً ثم وبخيني كيفما شئت

جلسا سوياً على الطاولة وبسماً مادين يديهما إلى الطعام يأكلان
بهناء، ممتنان لتلك الجلسة التي يجلسانها كل يوم، فإن تحظى بعائلة
حتى وإن كانت فرداً واحداً كافي لأن ترتسم البسمة محيا الإنسان؛
فلا أوحش من أن يُترك الإنسان وحيداً دون عائلة.

ثم بدأ سامي الحديث قائلاً:

- لقد تتبعت مكان الرجل الذي كنا نبحت عنه وعرفت أين

يعيش

فهتفت نائرة بعدم تصديق:

- حقاً!

- نعم

مدت يديها إلى شعره تفركه بفخر:

- يا لك من طفل ذكي

فرفع سامي حاجبيه بعدم رضا:

- لقد أصبحت أطول منك طويلاً وأعرض منك عرضاً وتقولين

علىّ طفل!، ماذا علىّ أن أفعل لكي أصير رجلاً

ضيقت عينيها وهي تنظر إليه بإبتسامة طفولية ، ثم قالت فجأة

بقوة:

- عزيزي رجل شجاع، ولكنه سيظل دائماً في عيني طفلي الصغير

فابتسم سامي بخفوت ولكنه كان سعيداً بكلماتها ثم سألها:

- كيف حال طارق؟

- بخير!، دعني أخبرك بما قاله لي اليوم

قصد عليه ما صدر من أستاذ لطفي ومن زملائها، وعن نصيحة طارق لها، فقال سامي بجدية:

- هذا أفضل، الحمد لله إنكِ اقتنعتي أخيراً بالعمل متخفية

فعكست ثائرة ما بين حاجبيها وهي تقول:

- لقد وددت أن أصبح في وجه العالم وأواجه الجميع بأخطائهم، كنت أود أن أجعل من كلماتي سياط لجلد الأشرار، ومَرَهَمًا لأولئك المتألمين

- أعرف هذا جيداً، فأنتِ كاسمك "ثائرة"، ولكن في الحقيقة ستصلين هكذا مبكراً لنتائج جيدة

- أدركت هذا، لذا اتخذت قرار التخفي والعمل بحذر

فعقب عاتباً:

- أتمنى أن عملي بحذر فعلاً وأن تكوني عاقلة، لقد أتعبتيني دائماً بالقلق عليكِ يا ثائرة

- حسنًا حسنًا، سأكون مطيعة، ولكنك دومًا كنت تحميني يا أخي بشكل خارق، لقد كنت تحطيني بهالة من القوة وأنا بالخارج، أنت مصدرى والورقة الرابعة التي استعملها في الخفاء، لولا تلك المعلومات التي تمددني بها ما كنت وصلت إلى هذه النقطة ولا كان لي عند أحد باع من الأهمية
ابتسم سامي في خجل، ثم صمت لوهلة؛ ليقول بعدها بتمني:
- أتمنى لو تجعلين من طارق سندٍ لك، هو شاب يستحق

زفرت ثائرة بعدم ارتياح ونفاذ صبر وهي تقول:

- أعلم إنه يستحق، وأدرك إنه شخص جيد جدًا، ولكن لا أجد فيه الشخص الذي أتوق إليه، للأسف أنا لا أستطيع أن أراه
غير أخٍ فقط

ثم صمتا حتى استطردت مرة أخرى:

- وأتمنى ألا يعاد فتح هذا الموضوع معي مرة أخرى يا سامي

فنظر إليها وهو يعدها بصدق قائلاً:

- حسنًا يا أختي لن أفتحه مرة أخرى

ثم وقفت بحماس وهي تقول:

- سأذهب وأتضر لمقابلة ذلك الرجل

عكس سامي ما بين حاجبيه وهو يقف أمامها يمنعها:

- لقد قلتِ إنكِ ستعملين بحذر وتعقل
- وما الذي أفعله الآن
- تتهورين!!، فهذا الرجل أخطر مما تظنين، الأمر ليس مقتصرًا على الأطفال عنده، إنه يعتبر قواد أيضًا ويدير مجموعة من النساء في هذا العمل المشين، كما أن سوابقه مخيفة، لقد قبض عليه عدة مرات بسبب التحرش و آخر مرة سجن عدة سنوات لمحاولة اغتصاب
- هذا غريب!، لماذا لم يشك أحد لحظة في رجل يمتلك هذه السوابق بأنه يختطف الأطفال ويبيعها؟! رغم تبليغ بعض الأهالي عنه، وتبليغ العائلات التي اتهمته بوضوح بخطف أطفالهم
- رفع سامي حاجبيه في دهشة من عدم مبالاة أخته، لكنه تنهد قائلاً:
- لأن هذا الرجل يساعده شخص ما، لقد أنقذه أيضًا من قضايا التحرش عندما تنازلت عنها جميع الفتيات دون سبب، لكن قضية محاولة الاغتصاب لم يوفق فيها لأنه لم يستطع أحد الوصول للفتاة لدفعها للتنازل
- هذا تفكير منطقي
- وانسي أن تقابلي هذا الرجل وحدك

ابتسمت في ثقة وهي تقول:

- وهل أنا بهذا الضعف الذي يجعل ذكر بطن مترهل يخيفني
أو يهزمني؟!

- أعلم إنك تستطيعين الدفاع عن نفسك وإنك بطلة لعدة فنون
قتالية، ولكن الأمر لا يسلم أبدًا، و أنا لن أتحمّل أن تقابلي
رجل مثل هذا وحدك وتأكلني الظنون ويفتتني القلق؛ لذا
سأذهب معك

- ولكني أحتاجك هنا؛ لأنك وحدك الذي تستطيع مدي
بالمعلومات وأنا بالخارج، وأيضًا تستطيع قرصنة الكاميرات
وإمداداي بالمداخل والمخارج إن وقعت في مأزق وودت
الهرب

- هذه المرة لا..

فكرت ثائرة قليلاً، ثم قالت مقترحة:

- يمكنني الإستعانة بطارق!

- حسنًا أنا موافق

(٣)

دخلت نائرة غرفتها وأبدلت ملابسها بأخرى أكثر عملية، سميكة حتى لا يسهل تمزيقها، محتشمة تخبئ تحتها تفاصيل جسد ممشوق القوام. وضعت تحت ملابسها العلوي حزام جلدي بداخله سكين قتال، ثم ارتدت حذاء رياضي، وأخذت حقيبتها ثم خرجت من غرفتها وقامت بالاتصال بطارق:

- السلام عليكم يا طارق

...

- هل تستطيع ملاقاتي اليوم في المنطقة (***) الساعة السابعة

...

- لقد وصلت إلى خيط مهم في قضيتي، وأريد مقابلة هذا

الشخص؛ ولكن سامي يرفض أن أقابله وحدي

....

- حسنًا، سأنتظرك

خرجت نائرة من المنزل وهي على أهبة الاستعداد لملاقة هذا الرجل ومعرفة ما تريد من معلومات تحتاج إليها للوصول للأشخاص المستفيدة من خطف الأطفال، وهزيمتهم، ثم مساعدة أولئك الأطفال وذويهم.

وقفت تنتظر طارق أمام أحد الأبنية التي يقبع بداخلها الرجل المنشود، ثم أخذت تطرق البقعة التي تقف فيها ذهابًا وإيابًا؛ لتوترها من تأخر طارق عليها، وزاد التوتر أكثر عندما لمحت الرجل المنشود يخرج من تلك البناية. ترددت في البداية تقفي أثره، ربما لأنها وعدت أخيها، أو لأن ما زال بها بعض الضعف الأنثوي الذي لم تستطع التخلص منه، تلك الفطرة التي جُبلت عليها النساء حتى وإن كانت أقوى المحاربات بأسًا وقوة وامتلكت من الأسلحة ما يجعلها تحتل العالم، ستظل الأنثى التي ترتجي كنفًا بأويها ويحتويها ويحميها. لكنها لم تفكر طويلًا ولحقته بعد أن أرسلت رسالة نصية لطارق بأنها تلحق الرجل؛ وطلبت منه أن يلحقها وهي سترسل له مواقع تحركها، وبالمقابل أرسل لها طارق عدم موافقته على تتبعها للرجل وحدها، ولكنها لم ترى إلا الرجل الذي أمامها. لحقته بحرص شديد قرابة الربع ساعة حتى وصل إلى بناية أخرى، نظرت إلى البناية بتردد في الدخول إليها ثم إلى هاتفها الذي لم يكف عن استلام الرسائل والمكالمات، ولكنها كانت عقدت النية بالدخول خلفه، فأخرجت السكين من جراب الحزام القابع فيه وانطلقت على السلالم لتتفاجأ بأصوات تحطيم قادمة من الشقة التي دخلها الرجل، فأسرعت الخطى لتتقصى عن الذي يحصل بالداخل. ووقفت خلف الباب تنظر من خلال فرجة صغيرة لما يحدث؛ فرأت

رجلاً عريض المنكبين تظهر عليه القوة؛ يمسك بعنق الرجل ويرفعه عن الأرض مثبتاً إياه على الحائط وهو يقول له بشراسة:

- أين هاتفك؟

فأشار له الرجل على جيب بنطاله، فآثار ذلك حنقه؛ وشد على قبضة عنقه أكثر وهو يقول بتهديد:

- هاتفك الآخر الذى تكلم به رؤوسائك

- ...

- أسرع وإلا دقت عنقك

جحظت عينيّ الرجل وهو يشير إلى مكان ما في غرفته، فتركه الرجل القوي يتلوى على الأرض واتجه إلى مكان ما أشار إليه ووضع ما كان يبحث عنه في جيبه، ثم خرج ممسكاً بيد الرجل يكسرها ويكسر له قدم، ثم قال بحدة بين صرخات الرجل الذي كتمها سريعاً من خوفه:

- هذا لتعيد التفكير وأنت تحاول خطف طفل مرة أخرى أو

تحاول مساعدة أتباعك من الخاطفين أمثالك

ثم أردف مرة أخرى:

- أين الأطفال الذين لم تسلمهم بعد؟

كان الرجل يشهق ويغرغر في خضم آلامه، فصاح به بحزم:

- تماسك وأخبرني وإلا ألقيتك من تلك الشرفة

فأسرع الرجل يقول موضحًا صوته:

- في قبو منزل مجهور في المنطقة (***)، رقمه ١٣

في تلك اللحظة كانت ثائرة تحاول الاقتراب لتستمع جيدًا، لكن خانقتها قدمها واندفعت إلى الباب مخلفة صوتًا؛ لتتظر إليها عينان لا تدري إن كانت خضراء أم زرقاء تلمع وكأنها زجاج، ففزعت وانطلقت على السلالم تهوول إلى الأسفل، وخرجت من البناية لتتفاجأ بخروج ذلك الغامض من النافذة، وتسلقه على النتوءات البارزة من البنايات قافزًا من سطح إلى آخر بسهولة، نظرت له بتعجب وهي تتسائل "من يكون؟، ومن أين أتى؟!"، دون أن تنتبه لطارق الذي يعدو ناحيتها بكل قوته وهو ينادي باسمها:

- ثائرة!

خفضت نظرها ونظرت أمامها؛ لتجد طارق أمامها وهو ينظر إليها بغضب وهو يقول لها بين لهائه:

- هل جُننتِ لتأتي هنا وحدك؟!..

لم تكن قد استجمعت كامل تركيزها فلم ترد عليه، فنظر لها بخوف، وقال بقلق:

- هل أنتِ بخير؟!..

فنظرت له وهي تبتسم بشغف وكأنها في عالم آخر وهي تقول:

- يبدو إننا لسنا وحدنا!

وضع يديه في جانيبه وهو يقول عاقدًا حاجبيه:

- ماذا تقولين!؟

- دعنا نذهب الآن، وسأخبرك بما رأيته

وكان ذلك على مسمع أذن منتبهه، ومرأى عينان كانتا تلمعان من فوق أحد الأبنية تحت ضوء القمر البازغ.

(٤)

وقفت نائرة أمام طارق وسامي وهي تقول بحدة:

- منذ متى يا طارق وأنت تعرف بأن سامي هو مصدرى
ودليلى

عكس طارق ما بين حاجبيه بخيبة:

- ألا تتقين بي يا نائرة؟

- الأمر ليس كذلك يا طارق

هتف بحدة:

- إذا أخبريني كيف هو الأمر!

أغمضت نائرة عينيها ثم فتحتها وهي تزفر:

- الأمر إننى لا أتخيل أن يحدث مكروه لأخى بسببى يا طارق..

أنا أثق بك أكثر مما أثق بنفسى، ولكننى لن أثق حتى بنفسى

عندما يتعلق الأمر به، لذا أجعل أمره خفيًا ولا أخبر أقرب

الأقربين عنه، حتى إننى لا أردده على مسامعى... أرجو أن

تفهمنى

لاقت جملتها الأخيرة بأنها تثق به أكثر مما تثق بنفسها استحسانه؛
فانفجرت أساريره، وتجددت آمال قلبه، لكنها سريعًا ما وئدتها له
حينما قالت بجديّة وصوت لا يشوبه ندم أو تراجع:

- أنت مثل سامي عندي يا طارق.. فأرجوك لا تغضب

أوما لها برأسه بخيبة، فأولته ظهرها وهي تشفق عليه؛ وهي التي
ليس بيدها حيلة، لو استطاعت أن تغير قلبها ناحيته لفلتتها، ولكن
ليس بيدها شيء غير أن تلوح له برفضها كل الوقت حتى يكف قلبه
الدامي في إحياء آمال واهية لن تتحقق. جلست على الطاولة
عاقدة كفيها وهي تفكر في ما شاهدته اليوم؛ فرفعت وجهها لهما
وابتسمت بشغف وهي تقول:

- أظن أن علينا الذهاب الآن وإنقاذ أولئك الأطفال

فدنا منها طارق مقترحًا:

- دعينا نبلغ الشرطة أفضل!

- لا!، لقد خرج ذاك المجرم من قبضة الشرطة مرات عديدة،
الشرطة تحكمهم قوانين تجعلهم بطيئون، وأحيانًا تكون تلك
القوانين أيادي بشرية سوداء تتحكم بالجميع.. جعل الأمر
عني للشعوب يكسر تلك القيود

فأردف سامي بحماس:

- هل تخططين لعمل مقطع فيديو ونشره مع مقال يحدث ضجة

فنظرت له تائرة بحماس مضاعف وهي تقول:

- بالضبط، وستكون البداية لفتح موضوع الإختطاف في وطننا

بشكله الحقيقي، غير إنني لن أتحمل معرفة وجود أطفال

معرضة للخطر وأتهاون أو أنتظر، فالآن يعني الآن

(٥)

وصلت نائرة مع طارق إلى المكان المقصود وظل سامي في البيت ينقل لهم ما عرفه عن المكان ويساعدهم على قدر استطاعته من مكانه. تخفا قبل القيام بأي فعل قد يؤدي بحياتهما، ثم تواصلت نائرة مع سامي تقول:

- هل تستطيع اختراق الكاميرات يا سامي؟
- للأسف ستأخذ وقت، فتلك كاميرات خاصة بالمنازل التي توجد في المنطقة وليست مرتبطة ببعضها البعض؛ لذا ستأخذ وقتاً طويلاً في اختراق كل منها على حدا ولن أسعفكما بسرعة، لذا توخيا الحذر لأنه بالتأكيد ستجدون من يحرس المكان

- لا تقلق سنكون حذرين

ثم نظرت نائرة إلى طارق وقالت بإقدام:

- لا بد لنا من الاقتراب قليلاً من البناية لنكتشف المكان

وافقها طارق، ثم تقدمها وأخذا يتقدمان بحذر؛ حتى تفاجئا بأن المكان مفتوح ورجلان واقعان على الأرض ينزفان، فهروا إلى الباب وقلب نائرة يثب في فضول؛ ليجدا خمسة أفراد ملثمون يتعاونون في إنقاذ بعض الأرواح البريئة التي على وشك الموت،

ويتفاجئ مرة أخرى بردود أفعالهم ناحيتهما، فعندما رآهما لم ينفعلوا وكأنهم كانوا على علم بوجودهما، ثم تقدم أحدهم ناحيتهما وقال وهو ينظر إلى ثائرة:

- لقد أخبرنا أن هناك امرأة ستأتي إلى هنا

فسأله طارق بضيق من أسلوبه الغامض في الحديث:

- من؟

نظر الرجل إليه بملل ثم إلى ثائرة التي تلمع عينيها بشرارات القوة وقال:

- هي تعرف!

فنظرت ثائرة إلى طارق وهي تقول:

- بالتأكيد الرجل الغامض الذي قابلته الليلة عند "حنتيره"

ثم نظرت إلى الرجل مرة أخرى عاقدة حاجبيها، متفرسة فيه:

- جميعكم تتشابهون في شيء!... ربما العيون بنظراتها تلك

فابتسم الرجل ثم قال:

- لا بد إنكم تريدون نشر الخبر، أليس كذلك؟

فسأله طارق:

- كيف عرفت؟

- لقد سمعنا أوس وبحثنا عن أمركما، ويبدو إنكما ستتعاونان

معنا

أومأت له ثائرة وهي تقول:

- نعم نحن معكما

ثم نظرت لطارق وقالت:

- دعنا نخرج الكاميرا ونكتشف المكان

أذعن لها طارق، ثم تقدم يصور وهي من خلفه وقد عقدت حاجبيها بتعجب وهي تتسائل بينها وبين نفسها "كيف سمعنا؟!"، لكنها حينما أطلقت بصرها في المكان تغافلت ونظرت حولها بتركيز؛ فرأت مكان بشع، سوداوي، النوافذ مغلقة بحديد مصفح لا يُخرج الأصوات، كل غرفة عليها باب حديدي كأبواب زنازين السجون، الرائحة عطنة؛ تخبرك بكثرة البكتريا والجراثيم، روائح أخرى مقرفة مصاحبة للعطن.. اتضح إنها رائحة دم وتقيحات الأطفال المجروحة وبرازهم؛ فامتعض وجهها بأسى واعتصر قلبها من الألم، ثم ارتعبت عندما تخيلت نفسها طفلة في هذا المكان، ثم أصبح المكان أكثر رعبًا عندما تخيلت أخيها هنا أو طفل من أطفالها إذا تزوجت وأنجبت؛ فتشجنت أعصابها وهي تقسم بأن لن تترك أولئك الملاعين دون أن تعاقبهم أشد وأشر عقاب.

دخلت الزنزانة الأولى كان بها حاسوب وكاميرا بحامل في إحدى الزوايا، وفي الزاوية الأخرى أطواق سوداء ناتئ منها قطع حديدية مدببة وأزياء غريبة؛ تدرك ماذا يعني وجودها، اشمزت من تلك الأمور وهي تتذكر مقاطع الفيديو التي استطاع سامي الحصول عليها من إحدى مواقع الدارك ويب، أفزعتها المقاطع ولكن أفزعها أكثر أن يكون وطنها مشتبه به وأوطان أخرى مجاورة يتشاركوا اللغة في تلك الأمور، لم تتخيل أن يصل الأمر حد صنع مقاطع فيديو يؤذى فيها الأطفال بالضرب والتعنيف أو يتم إغتصابهم، والذي يريد أن يشاهد يدفع المال!، لم تصدق إن يصل مستوى البشر إلى هذا المستوى من الانحدار إلا بعد ما شاهدته وبعد ما عرفته عن تلك المؤسسات السوداء التي تهتم بتخريب فطرة الإنسان لسبب ليس مجهولاً، فأولئك هم عبدة إبليس، أدواته في حربه منذ خلق آدم "عليه السلام". والمفزع الآن أن الأمر لم يعد مقتصرًا على التخفي في تلك المواقع بل سيصبح علانية قريبًا؛ فواقعة العلامة التجارية الملابس المعروفة باسم "Balenciaga" التي قامت بتصوير حملة إعلانية لعلامتهم التجارية بأطفال يلبسون أطواق العبودية وإبراز ملفات لقضايا البيدوفيليا التي حدثت على طول سنوات عديدة في الديكور المستخدم وبعض الأزياء التي تُعبّر وتُستخدم للجنس العنيف؛ كانت كافية ليقولوا للعالم الآن حان

الوقت للظهور بحرية"، فارتجفت بعنف وغضب؛ فنظر لها طارق وهو يسألها:

- هل أنت بخير؟!

- لا، أنا غاضبة جدًا حد الإشتعال نارًا

طأطأ رأسه متأثرًا وهو يقول:

- المكان يبعث على النفور

- أتتذكر حادثة "Balenciaga"

- كيف لي أن أنساها!!..

- لكن ما يريحيني ردة الفعل الكبيرة التي حصلت من جميع

الشعوب يا طارق، حتى وإن كنت أعلم أن أولئك الملاعين

سيستخدمون "تأثير زاجنوك" بتعريضهم للبيدوفيليا بمؤثرات

خارجية كالأفلام والأنمي والصور وتكرارها بشكل يؤثر

على الوعي الباطن؛ لتزيد من نسبة قبول البدوفيليا، كما حدث

في موضوع المثلية الجنسية، أصبح عدد كبير لا يبالي- أي

قبول وجودها- حتى لو لم يفعلوها.. لكن ردة الفعل تلك تقول

أن هناك أمل ويجب علينا محاربتهم قبل فوات الأوان

فقال طارق بأسى:

- للأسف يا ثائرة ستكون الحرب ضروس وفاجرة، لقد رأيت

اليوم خبر لنانبة أمريكية من الحزب الديموقراطي تدعى

"كاتي بورتر" تقول فيه "أن الاعتداء الجنسي على الأطفال ليس جريمة بل هو حرية اختيار"، وربما سيتم تقنين البيدوفيليا والمثلية الجنسية لأول مرة في التاريخ امتعضت ثائرة، وظهر الاشمزاز والعصبية على وجهها جلياً وهي تقول:

- ما هذا القرف الذي يتسابقون في الوصول إليه؟!
- لا يسابقهم أحد ولكن ربما يسابقون الزمن للوصول للهدف الذي يتمنون الوصول إليه
- هدفهم أن يحكم إبليس الأرض، ولكن إبليس لا يريد إلا أن يدخل جميع بني آدم النار، ووقت الحساب سيتخلى عنهم إبليس برحابة صبر ونواجز منفرجة عن قبح كان مستور عنهم

صمتا قليلاً، وأخذا يتجولان بين الزنازين المقبضة للنفس، ثم قال طارق متذكراً:

- هناك خبر ربما تودين معرفته
- ما هو؟
- تلك العارضة الروسية التي تدعى "لوتا فالكوفا" صاحبة فكرة تصوير آخر حملة لملابس الأطفال لعلامة "Balenciaga" لقد خرجت اليوم ولم يحكم عليها بأي عقاب

- ماذا!!، كيف؟! وتلك الملعونة غريبة الأطوار، ألم يشاهدوا تلك الصور المستفزة التي تنشرها على صفحات التواصل الخاصة بها؛ والأكثر من كافية للحكم عليها أنها بيدوفيلية تغتصب الأطفال وتعذبهم وهي تقوم بطقوس شيطانية
- إنهم ممولون ومدعومين يا ثائرة وأنتِ أكثر من يعرف هذا
- هذا العالم يمشي رأسًا على عقب حقًا!

ثم نظرت حولها وانتبهت لغرفة تختلف عن باقي الزنازين وقالت:

- دعنا نستكشف تلك الغرفة، تبدو مختلفة

اتجها إليها؛ وبعد أن دخلها انقبض قلبيهما؛ لرؤية سرير خاص بالعمليات الجراحية وأدوات طبية، وأدوات للتعذيب، وبعض الأعضاء المحفوظة للأطفال في قوارير زجاجية، ثم انتبهت للصورة المعلقة على الجدار المرسوم فيها طفل يخترق دماغه إصبع من خلال عينه تشير للغدة الصنوبرية ويمتد منها حبل كالحبل السري تمشي فيه الدماء حتى تصل إلى رجال ونساء تظهر منهم وردة. عصرت ذهنها وتذكرت أنها شاهدت مثل تلك الصورة عند تلك العارضة المجنونة، وعند أصدقائها غريبو الأطوار أيضًا، فنظر لها طارق وهو يقول:

- تلك الصورة مريبة

فانبثق صوت الرجل الذي تحدث معهم منذ قليل وهو يقول من خلفهم:

- إنهم يؤمنون أن سر الشباب وتجديد عمر أعضائهم يكون في دم الأطفال

فقال طارق:

- لقد سمعت بهذا الأمر ولكن لم أعتقد أن يكون حقيقة
- الأمر حقيقي، "إكسير الشباب" هكذا يطلقون على الأدرينوكروم..

فنظر له طارق متسائلاً:

- وماذا يكون الأدرينوكروم؟
- الأدرينوكروم هو المادة التي يتم صنعها بعد استئصال الغدة الصنوبرية الممتلئة بالأدرينالين الذي ينتج عن تعذيب الأطفال نفسياً وجسدياً، فيساعد على صناعة تلك المادة التي تجدد شبابهم، والغدة الصنوبرية هي المسؤولة عن العمر البيولوجي لأعضاء الإنسان وبشرته وحيويتها
كانت نائرة تستمع إليه ووجهها يزداد عليه علامات الامتقاع، ثم تقدمت خطوتين للأمام، والتفت تنظر إليهما تقول:

- سأجعلهم يتحسرون على الحياة التي يريدون عيشها على دم
الأطفال وحيواتهم

ثم نظرت للصورة مرة أخرى وهي تقول:

- أكره أن أصدق إننا نمتلك هكذا وحوش في وطننا!

ثم فجأة ارتفع أنين الفتاة المتكومة في ركن من أركان الزنزانة،
فحازت على انتباه ثلاثتهم واتجهوا ناحيتها. اقتربت نائرة منها
ونزلت على ركبتيها وهي تنظر إلى عيني الفتاة المغلقتان بشدة، ثم
على ذراعيها الهزيلتان وهي تحتضن جسدها الضعيف بشدة وتئن
بخوف، كانت وكأنها في نوبة هلع بدون وعي أو إدراك لكلامتهم
المطمئنة لها؛ فاحتضنتها نائرة بقوة وهي تطبطب وتملس على
ظهرها بحنان؛ فهدئ روعها وهدأت أوصالها المهتزة ثم فتحت
عينيها ببطئ وأخذت تمسح بعينيها وجوه المحاوطين لها وهي
تسترجي الأمان. ولكن عندما نظرت إلى أعينهم المليئة بالدمعات
والحنان والشفقة؛ أمنت من بطش وخوف داما كثيرًا، ثم خرجت
من حضن نائرة ونظرت إليها بتعب وقالت بصوت بُحت نبرته:

- كنت هذه المرة سأحلق إلى السماء

ثم ارتمت الفتاة الصغيرة في حضن نائرة مرة أخرى خائفة القوى
فارتجفت شفتي نائرة وهي تقول بوهن:

- ارتاحي الآن يا عزيزتي

(٦)

صور طارق بقية الأولاد المصابون وجميع الغرف على حدا، ثم اقتربت منه تائرة وهي تقول:

- هل انتهيت يا طارق؟

- نعم

- حسناً، جيد

في حينها اقترب الرجل منهما مرة أخرى وهو يقول:

- أستاذ طارق.. أنسة تائرة، نتمنى منكما أن تتعاوننا معنا ولا

تنشرا أي شيء الآن

فحكمت تائرة ما بينها حاجبيها في غضب وقالت:

- ما رأيته اليوم لن أسكت عنه دقيقة واحدة

- هذا لضمان أمانكما وكذلك أمان سامي

صمتت تائرة بارتباك عند ذكر اسم أخيها وهي تنظر بحيرة إلى أولئك الرجال، لا تدري أتثق بهم أم تحتاط كما تحتاط دائماً؛ خاصةً إنهم غربيون وتشعر باختلاف فيهم لا تفهمه، ثم قالت بهدوء يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة:

- يبدو أنكم تعرفون كل شيء عني، ولكن لا تعرفون كيف هي طباعي، على أن أثق بكم أولاً، وعلى أيضاً أن أفهم لما عليّ إلا أنشر الفيديو الآن، وما الذي تريدونه بالضبط وتخططون له

- لا تقلقي يا أنسة نائرة، كل ما تريدين معرفته ستعرفيه، ولا تخافي منا؛ فنحن لن نؤذيكم أبداً... عندما ينتهي "أوس" من تأمين الطريق لنا سيشرح لك بنفسه

فقال طارق بتذمر:

- ومن هو أوس؟

- الرجل الذي شاهدته الأنسة نائرة اليوم عند الرجل الذي يدعى "حنتيرة"

فكرت نائرة قليلاً، ثم قالت:

- حسناً موافقة، ولكن أين سأراه

- سيأتيك هو

ثم تركهما وهما ينظران إلى بعضهما البعض؛ واتجه إلى ما كان يفعله، فقال طارق لنائرة بحنق:

- أشعر بالحنق من ذلك المسمى أوس

فابتسمت نائرة مستغربة:

- هذا حكم مسبق لأوانه فأنت لم تقابله بعد
- لا أعلم، ولكن طريقتهم جعلتني أشعر وكأنه " اللهو الخفي،
أوالثنين المجنح"

ضحكت نائرة من قلبها حتى اهتز جسدها وهي تقول:

- ربما أنت في هذه النقطة على حق، ولكن دعنا من هذا الآن
ودعنا نذهب من هنا؛ فعلي تحضير المقال الذي سيُنشر مع
الفيديو

فابتسم لها بلطفه المعهود ناحيتها وقال:

- هيا بنا

خرجا من المكان كما خرج الآخرون من خلفهم، ثم قال أحدهم
لهما:

- أهدنا سيتبعكم حتى تصلون بأمان

فرد طارق موافقاً:

- حسناً

(٧)

مر يومان ولم يحاول أحد الاتصال بها كما قال لها الرجل، وهذا جعلها غاضبة ومزاجها سيء طوال الوقت، تريد نشر الفيديو والمقال ولكنها تفي بوعودها دائماً وهي قد وعدتهم ألا تنشر الفيديو، كما إنها تخاف على سامي؛ فهي تشعر أنها يجب أن تتوخى الحذر منذ ذلك اليوم الذي عرفت فيه مكان الأطفال المخطوفين. أخذت تذرع غرفة الجلوس ذهاباً وإياباً حتى أوقفها سامي قائلاً بحدة:

- توقفي يا ثائرة عن ذلك، لقد شعرت بالدوار والغثيان

فتوقفت والتفتت إليه وهي تقول بحدة وعصبية:

- هل خدعني ذلك الرجل

رفع سامي حاجبيه باستسلام وقد اعتاد ذلك الطبع فيها:

- كيف سيقوم بخداعك وأنت تملكين مقطع الفيديو الذي قمتِ

بتصويره أنتِ وطارق، وإن شئتِ نشره ستنشره

عكست ما بين حاجبيها وهي تقول مؤكدة:

- كلامك منطقي

- أعلم!

فعدت تذرع غرفة الجلوس ذهاباً وإياباً وهي تقول:

- إذا ماذا علي أن أفعل الآن؟
- أن تهدأي قليلاً يا نائرة وتنتظري

فتوقفت وهي تمسك بحقيبتها وتقول:

- سأخرج؛ فأنا لا أستطيع أن أهدأ وأنا أنتظر... كم أكره الانتظار

خرجت نائرة إلى الشوارع والأزقة والحواري، حملتها قدميها إلى أي مكان وكل مكان قد تستطيع الذهاب إليه، تفرست في الوجوه المتعبة والشاردة؛ عليها تجد الأسباب خلف شرودها وتعبها، فربما تكتب عنها وتجد لهم حلولها، شردت في الوجوه الجامدة والواجمة وتفحصتهم بقلق، وأخذت عينيها تدور وتدور تبحث في الجميع عن ضحية وبرئ ومجرم، حتى جذبتها ضحكات البراءة من مجموعات الأطفال في الحديقة المجاورة، نظرت إلى ضحكاتهم البريئة ووجوههم الملائكية، تحركاتهم وكأنهم أسراب طيور السنونو، ثم قالت في نفسها " بالتأكيد هم وحوش، كيف لم ترق قلوبهم لتلك البراءة"! ثم تمشت قليلاً للأمام؛ فوجدت مسخاً في هيئة رجل يصفع طفلاً صفعات متكرره وهو يسبه بأقذع أنواع السباب والشتائم، فلم تملك نفسها إلا وهي تُمسك بمعصم يده التي كانت ستنزّل على خد الطفل الصغير للمرة السادسة؛ وقامت بليه

وغرزت أصابعها في مناطق ضعف العضلات والأوتار. صرخ الرجل وهو يُفلت ياقة الصبي من يده الثانية بذعر، فنظرت له نائرة بكره وغل وهي تقول له:

- هل جننت لتضرب طفل هكذا؟!!

صرخ الرجل في وجه نائرة يسبها وهو يتلوى من الألم:

- اتركيني يا ***

اتسعت عيني نائرة بغضب أكثر، وثارت أعصابها وانتفخت أوداجها؛ لتترك يده ثم تنهال عليه بضرب مبرح مدروس؛ فجعلته يئن ألماً وندماً، احتشدت الناس حولهما، منهم من امتدحها ومنهم من ذمها، فقال لها أحد ممن يذمونها:

- هل تشبهين بالرجال وتضربين الرجال الآخرين؟، أين هي أنوثتك؟!!

ضحكت نائرة بهستريا وهي تقول:

- تركت أنوثتي لك!، والآن أخبرني يا سبع الرجال، لماذا لم تنقذ الصبي من بين يدي عديم الضمير هذا؟!، ألأنك مثله؟..
هيا أخبرني الآن!

ازدرد الرجل ريقه بصعوبة وهو يبحث عن رد يواجهها به ولكنه لم يجد، فاستطردت نائرة:

- ماذا؟!، هل أكل القط لسانك!....

ثم نظرت للجمع الذي حولها وقالت:

- لماذا لم يرحم أحدكم هذا الطفل؟!.. من لم يرحم لا يحق له

طلب الرحمة فيما بعد (من لا يرحم لا يُرحم)

همهم الجمع بصحة كلماتها، فتطوع أحدهم بإبلاغ حقوق الطفل في الوطن ومتابعة التحقيق حتى أخذ الإجراء اللازم ضد هذا الوحش السادي، وتطوع آخرون بتبني حالة الصبي المادية. فتنفست نائفة الصعداء وارتاحت بعد رد فعل الناس الثاني لهذا الموقف، وشعرت بالأمل، وتجددت روح المحاربة في نفسها مرة أخرى، ثم نظرت لتلك العينين الكبيرتين التي تنظر لها بحب وامتنان وربتت على شعره بحنان.

ثم رجعت مرة أخرى للمشي بلا هدف، ولكن هذه المرة كانت تشعر بالخفة والسعادة لدرجة أنها لم تشعر بحالها وهي تمشي بزقاق شبه معتم، تستتر به بعض الأعين العابثة والأرواح الهائمة النائمة، وعندما انتبهت لما هي مقبلة عليه؛ تبعثرت خفتها ونهش قلبها القلق، وفجأة شعرت بخوف كبير، لكنها ثارت على خوفها كما تفعل دائماً، ونجحت؛ فتماسكت واشتد ساعدها تحسباً لأي هجوم قد تتعرض له، لم تهرب حتى لا تثير غرائز الصيد عند هؤلاء العبثة، لأنهم تماماً مثل الكلاب الضالة التي ستسعى جاهدة

لنهش اللحم إذا اشتمت خوف الضحية، وطفقت تخرج من مخرج إلى مخرج حتى وصلت إلى مكان مسدود؛ بيت قديم نوافذه وبوابته الخشبية بالية حد التساقط. شعرت بعدة بأقدام من عدة جهات تقترب من خلفها، فاستعدت للهجوم، ولكن قبل التفاتها إلى الخلف؛ ظهرت عينان لا هما زرقاوتان ولا خضروتان تلمعان في ظلام البيت المهجور، عرفت تلكما العينان كما ألفتها سريعًا؛ فاستنارت ملامحها براحة، مرة لأنها ستصل لمبتغاها، ومرة لأنه سينقذها من هذا المأزق. وعندما رأى هذا في عينيها خرج من بين جنبات الظلام بكتفيه العريضين وذراعيه المفتولين والغضب كالشرر يتطاير من عينيها، اهتز ثبات الأربعة الواقفون خلف ثائرة بعدة خطوات من هيئته، لكنهم لم يهربوا عندما تلاقت أعينهم واتفقت على تقسيم الفريسة؛ فصلبت عزيمتهم من جديد فأربعة في اعتقادهم قادرين للانقضاض على شخص واحد ولا غيره، لكنهم لا يدركون أن ذئب واحد قادر على أن يأكل عدة كلاب. انقض أقواهم شاهرًا سلاحًا أبيض ناحية أوس الذي وقف موليًا ظهره لثائرة ليحميها؛ يحاول غرزه به، لكن فاجأه أوس بلطمة قوية على ذراعه أوقعت السلاح من يده وجعلته يئن، ثم قبض على عنقه ورفع أمامه وهو يقول له بشراسة:

- تلك المنطقة ستصبح عيني عليها، إن تجرأت على أذية النساء

والأطفال ستلاقون حتفكم أيها المخنث

ثم ألقاه على الأرض كقطعة قماش بالية، ثم نظر له بقرف
مستطرّدًا بتحذير:

- هل فهمت؟

أوما الملقى على الأرض موافقًا وهو يمسك رقبته ويسعل بخوف،
ثم نظر أوس بنظراته المشتعلة إلى شاكلته الواقفين؛ ففروا جميعًا
من أمامه وفرائضهم ترتعش. ثم نظر بعينيه المتسعنتين إلى ثائرة
التي كانت واقفة تشاهد بصمت مطبق. التقت عينيها بعينيه؛
فاقتربت منه وهو تنظر إليه بتمعن قائلة بدون تفكير:

- هل أنت ذئب؟

ظهرت بسمة خافتة على زاوية فمه، لم تفهمها ثائرة هل هي
سخرية أم ثقة، ثم قال:

- وهل أنتِ مجنونة لتمشي بدون هدف وكأنك مسحورة أو
بلهاء وما شابه؟!!

عُكص ما بين حاجبيها بغضب، وهدرت به قائلة:

- وهل كنت تتبعني طوال الوقت وأنا أنتظر أن تظهر منذ
يومان؟

منذ يومان...

- هل وافقت تائرة على نشر مقطع الفيديو بعد أن أقابلها؟!!

- نعم فعلت

- في رأيك يا عدي هل وثقت بنا أم لا؟

فكر عدي قليلاً، ثم قال بعدم تأكيد:

- إنها فتاة ذكية ولكن أظن إنها تثق بنا وإلا ما جاءت للمكان

الذي حبس فيه الأطفال وهي تعلم بالتأكد أنها ستجدك هناك

ابتسم أوس بإعجاب، ثم قال نافيًا:

- لا!... بل لأنها جريئة إلى حد التهور

فابتسم عدي وهو يقول:

- مثلك!..، وأضف إنها تغضب بسرعة وتنطفئ نارها أيضًا

بنفس السرعة، تكشر عن أنيابها لأي أحد وفي أي مكان مثل

الذئبة تمامًا...

صمتا قليلاً ثم استنرد عدي قائلاً:

- ولكن أخبرني لماذا لا تريد منها أن تنشر مقطع الفيديو؟!
 - ذلك لسببين، الأول؛ لا أريد لها و لأخيها الأذى، خصيصاً أن هذا المقطع سيثير غضب وخوف الرؤوس الكبيرة في أن تُكشف؛ فسيحاولون الوصول إليها والقضاء عليها، والسبب الثاني هو لشيء أريد معرفته بها
 - ولكن أعرف أن أخيها ضليع بالحاسوبات والولوج بتخفي وحرفية
 - إنه يملك الذكاء ولكنه لا يملك الإمكانيات الحديثة التي ستحمي تخفيه، ونحن نمتلك تلك الإمكانيات، لذا أعتقد ضمه لفريقنا سيكون دعمًا قويًا لنا
- رفع عُدي حاجبيه في قلق وقال:
- ليس هناك مشكلة إلا أن تقنع "طيبة" أختك بهذا الأمر
 - إنها فعلاً مشكلة كبيرة!، لكن لا عليك دعها لي، والآن إلى اللقاء؛ هناك ما علىّ فعله

راقب أوس الأجواء في منطقة المدعو حنتيرة، ليرى من سيتوج لحكم المنطقة ونيل الحماية بعد التخلص منه، ومن الذي سيقوم بتلك المهمة، ولم يخب أمله ولم ينتظر كثيرًا؛ فرأى شخصًا غريبًا عن المنطقة، لم يسبق أن رآه فيها، شخصًا حاول كثيرًا أن يمويه نفسه بملابس رخيصة ولكنها لم تتجانس مع ساعة الروليكس باهظة الثمن ولا ذلك السوار الرجالي من الفضة الخالصة، أو ذلك الوشم ذا الجودة العالية الذي يظهر عند أطراف ياقة قميصه وكمه؛ والذي لن يقوم بوشمه رجل فقير يرتدي ملابس رخيصة بالية!. فابتسم أوس بانتصار ممزوج بسخرية وهو يقول في قرارة نفسه "ربما لم يدرك أن هناك من يستطيع ملاحظة كل ما ظن أنه يخفيه"، ثم أخرج هاتفه وقام بتصويره عدة مرات ثم أرسلهم إلى "طيبة" مع رسالة "ابحثي عن هذا الشخص".

دخل الرجل إلى بيت خصم حنتيرة في المنطقة ولم يلبث أكثر من نصف ساعة حتى رحل مرة أخرى، لحقه أوس حتى وصل الرجل إلى سيارة رياضية فخمة في إحدى الشوارع البعيدة عن المنطقة ثم ركبها وانطلق، لينطلق بعدها أوس إلى مهمته الثانية؛ الذهاب إلى موقع "جريدة التحرير" التي تعمل بها ثائرة، انتظر خروجها من البناية بفارغ الصبر، كان يعتريه الفضول ناحيتها، يريد استكشافها،

خاصةً أنها ابنة الرجل الذي أحب قلمه وأحب صراحته، ووقوفه مع الحق مهما كانت ضراوة المعركة، أعجبه فيها شجاعته وجرأتها ولكنه مقت تهورها في نفس الآن، ثم انتبه لتناقضه؛ فحك رأسه وهو يقول لنفسه "ماذا تريد منها الآن؟"، جرأتها وشجاعته أم أن تأمن نفسها من شر الوقوع في الأخطار!...ربما الأمران... ولكن كيف؟!، إنها معادلة صعبة"

ظل يفكر حيناً وينهي بعد أموره من على الهاتف حيناً آخر، حتى خرجت، ولكنها لم تخرج بمفردها، كان يلزمها طارق كما هي عادته دائماً عند خروجهم من العمل. ضيق أوس عينيه لرؤيته وهو يقول بسأم في قرارة نفسه: " يبدو مثل الجرو". تابع حديثهما عنه وعن الفيديو؛ فكشر عن أنيابه عندما سمع طارق وهو يقول لها: "لا تتقي بذلك المتوحش، أنا لن آمن وجوده بجانبك، لا تقابليه وحدك أبداً... ويظن حاله اللهو الخفي أيضاً!"، ثم كور قبضته وهو يقول: "متوحش!.. والله الخفي!.. حسناً سأريك من هو المتوحش"، ومن ثم تابعها وتابع عينها منتظراً ردها عليه، حتى قالت: "لا يبدو لي متوحش يا طارق، من يعرض نفسه للخطر لأجل الأطفال لا يكون متوحشاً أبداً، ربما هو غامض أو حتى مخيف بقوته التي رأيتها، وسأختار أن أثق به". فابتسم أوس بانتصار.. ثم انتبه إلى نظرات عيني طارق المليئة بالمشاعر اتجاهها؛ فنظر إلى عينها وتمعن فيهما ليرى هل تعطي أمل لذلك

الشخص لتحيا تلك المشاعر بداخله، لكنه لم يجد فيهما إلا الشفقة على حاله وعلى تلك المشاعر المهدورة، ثم تركته وذهبت، فنظر إلى طارق مرة أخرى بتمعن وقال: " أحمق"، ثم ذهب خلفها سريعاً يتتبعها حتى وصلت إلى بيتها في أمان.

(٩)

في اليوم التالي وقف أوس ومعه عُدِي أمام منزل في حي فخم،
فقال عُدِي بغیظ ملئ بالتعجب:

- هذا الرجل يملك عملاً جيداً يدر عليه مالٍ وفير، بل وأيضاً
من عائلة ميسورة الحال.. لماذا إذاً يقوم بمثل ذلك العمل
المشين وهو لا يحتاج إلى المال

- حتى وإن أحتاج المال لن يقوم بخطف الأطفال والعيش على
دماءهم وزهق أرواحهم إلا وحش

أوماً عُدِي برأسه مقتنعاً بما قال أوس ثم نظر مرة أخرى أمامه،
ومرت عدة دقائق ثم رن منبه ساعة أوس الإلكترونية؛ لينظر إليها
مبتسماً بشغف وهو يقول لعُدِي:

- سأذهب الآن، هل تحتاج مني شيء؟

ابتسم عُدِي وقال:

- لا، اذهب أنت إلى ما يشغل بالك

نظر إليه أوس مفكراً ثم قال سريعاً قبل أن ينطلق إلى حيث يقع
مكان عملها:

- ما يشغل بالي هو التأكد من سلامة خطواتنا وإلى من نعطي
ثقتنا ونجعله بيننا

فابتسم عُدي رافعًا حاجبه بغير اقتناع، ثم غمز له؛ فضحك أوس
وذهب

وصل أمام مكان عملها ليجد طارق يقف خلفها بعد أن تركته نائرة بفتور وعلى وجهه نفس النظرات الهائمة بالحب، فشعر أوس بالحنق وهو يقول: "لماذا لا يفهم هذا الأحمق إنها لا ترغب به".

ثم تتبعتها بخفة، وراقبها وهي تدلف إلى بعض الزقاق؛ تُخرج مظاريف تلتصق عليها ألواح شكولاه وتوزعها تحت أعقاب أبواب بعض المنازل، ومن ثم اتجاهاها إلى موقف الحافلات وانتظارها للحافلة.

ركب خلفها دون أن تشعر بوجوده بين كل هذه الأجساد المتزاحمة، وشعر بعيون بعض الفاسقين تتفحصها باستفزاز وقذارة رغم ملابسها المحتشمة التي لا تبين تفاصيل جسدها، شعر بالخطر يدق أجراسه في صدره وأحس بالخوف على بقية النساء والفتيات التي تقف وتجلس في تلك الحافلة، ثم نظر لأيديهم حتى يقطعها إن حاول أحد مدها على حرمة أجسادهن، ثم زفر في حنق وهو يفكر في جدية ويتسائل: "لماذا لا يكثر من حافلات السيدات لحمايتهن!، لماذا المسئولون وأصحاب المؤسسات والمنظمات والجمعيات لا يولون لمثل هذه الأمور أهمية ويكتفون فقط بالمناشدة بحقوق المرأة في البرامج وهم يصرخون ويتهاثرون فقط بالكلمات

الجوفاء؟!... لكن أن يقمن بشئ لهن على أرض الواقع لن نجد شيئاً
أبدًا"

ثم خرج من شروده سريعًا وانتبه إليها مرة أخرى وأخذ يتابعها
بحذر، ويتمعن في تلك الملامح الجامدة ونظراتها النارية التي
توجهها لأكثر الرجال حمايةً لنفسها؛ ففهم لِمَا هي دائمًا غاضبة
ومتهورة وجامدة جدًا في تصرفاتها وكلماتها، فمن يريد أن يواجه
مخاطر الحياة وأنيابها يجب عليه أن يتسلح لها وأن يكون دائمًا
مستعدًا، وهي قد اعتادت على التصرف بشجاعة وقوة طوال
الوقت حتى تستطيع أخذ حقها إذا حاول أحدهم سلبها إياه؛ فتحولت
تلك العادة إلى تهور لتثبت لنفسها أنها قوية دائمًا. شعر بالشفقة
عليها وعلى أي فتاة تضطر للتخلص من طبيعتها وعفويتها وما
جُبلت عليه حتى تواجه وحوش ومفترسون، وبعض المختلين الذين
يضعون اللوم كله عليهن دون عدل وكأنها وحدها التي ستحاسب
أمام الله وكأنها المسئولة الوحيدة عن الفتنة.

ظلت أفكاره تتماوج حتى توقفت الحافلة فنزلت منها ثائرة ونزل
هو من خلفها، ولكن عقله ظل مُعلقًا بأولئك السيدات في الحافلة
وكل حافلة في الوطن وما قد يتعرضن له فيها، ثم توقف بعد أن
دخلت إلى بناية منزلها، لكنه أنتظر هذه المرة أمام بنايتها عندما
شعر بأنه عليه الانتظار، ولم تمر عليه نصف ساعة حتى وجدها

خارجة من البناية ووجهها مقطب تمتلئ قسماته بالتفكير والملل والقلق؛ فتبعها في الحال، وجدها تهيم على وجهها بدون هدف؛ فتسائل: " لم هي غاضبة؟! .. هل لأنني تأخرت عليها؟، أم لسبب آخر!"

حاول سبر أغوارها، فنظر اتجاه ما تنظر، وشعر بحيرتها، وابتسم لبسمتها وهي تنظر للأطفال وبرائتهم؛ ف شعر أنه يجب عليه أن يقابلها اليوم، ثم انتبه على بكاء وصرخات طفل لا يتخطى الثانية عشرة من عمره يضربه رجل بالغ بوحشية ودون رحمة، كاد أن يتقدم ويتدخل لكنه تفاجأ بوقوفها أمام الرجل ممسكه يده بقوة جعلته يتألم، ثم تهالت عليه بعدة ضربات ولكمات قوية كادت أن تفقده وعيه، فرفع حاجبه في إعجاب من حركاتها القتالية المدروسة والمتقنة، قائلاً بينه وبين نفسه بهمس: "يبدو أنها تتقن الدفاع عن نفسها جيداً.. أنها حقاً رائعة"

ثم شرد في كلماتها لهم وبجراتها في إيضاح موقفها، وبشجاعتها في إعلاء كلمة الحق والمناشدة بالرحمة، وافق على كل كلماتها؛ خاصة تلك التي واجهت بها الرجل السلبي، العدوانى بأفكاره، لكن قلبه تحرك فجأة عندما ربتت على رأس الصبي بحنان ورقة لا متناهية وكأنها تخاف أن تجرحه بيديها؛ فابتسم وهو يهمس لنفسه مرة أخرى: "إنها طيبة القلب وجميلة"

بعدها تحرك خلفها مرة أخرى وهو لا يدري إلى أين تريد أن تذهب بعشوائيتها تلك. ظل يتتبعها حتى دلف خلفها إلى ذلك الزقاق الذي شعر بالخطر يحلق من بين جنباته؛ فتسلق أحد البيوت بخفة لتظهر له البقعة التي تمشي فيها جلية ويتقصى عن من فيها، ليجد من فوق أعين متلصصة ومتربصة، لا يظهرون كاملاً وكأنهم خيالات لأشباح، شعر بقلقها وخوفها بعد أن استدركت أين أخذتها قدميها؛ فهب يستعد ليكون أمامها واثبًا بين أسطح المنازل وهو يشعر بالحنق من شرودها وتهورها اللذان سينهيان حياتها في يومٍ من الأيام. وثب وثبةً أخيرة على سطح المنزل المتهالك الذي سد لها طريقها، ثم نزل سلالم المنزل سريعًا وفي خوف من أن يتعرض لها أحد المتربصين خلفها في تلك الثواني المعدودة، حتى أخيرًا رآها وهي تتمعن بنظرها فيه متفاجئة بروئيته ومطمئنة في وجوده؛ فجعلت ثأرتة عليهم تزداد وكأنه يريد تمزيقهم بأسنانه. تقدم أمامها وجعلها خلفه وهو ينظر إلى الأربعة بنهم شرس لقتلهم، شعر باهتزازهم وجبنهم ولكنهم اختالوا بعدتهم، ثم نظر لمهاجمه الأول وهو يجهر بسلاحه الأبيض في وجهه؛ فضربه وأوقع له سلاحه، ثم أمسك بعنقه ورفعوه وهو يقول بشراسة:

- تلك المنطقة ستصبح عيني عليها، إن تجرأت على أذية النساء

والأطفال ستلاقون حنقكم أيها المخنث

بعد أن خضع له الرجل الملقى على الأرض؛ نظر إلي بقيتهم
بتحدي وشراسة؛ ففروا جميعًا من أمامه، ثم نظر إليها وتمعن في
عينيها يحاول أن يفهم نظراتها المبهمة التي تلقيها ناحيته؛ حتى
فاجأته وهي تقول:

- هل أنت ذئب؟!!

فابتسم بخبث دون أن يرد على سؤالها لاستفزازها، ثم قال حانقًا:

- وهل أنتِ مجنونة لتمشي بدون هدف وكأنك مسحورة أو
بلهاء وما شابه؟!!

فعكست ما بين حاجبيها بغضب، وهدرت به قائلة:

- وهل كنت تتبعني طوال الوقت وأنا أنتظر أن تظهر منذ
يومان؟!!

- دعينا نخرج من هنا أولاً ثم سأشرح لك كل شيء

جاورها ليحميها حتى خرجا من تلك المنطقة بسلام وابتعدا عنها،
ثم توقفت ونظرت إليه وهي تقول:

- الآن أخبرني ما الذي جعلك تتبعني يومان دون أن تظهر
لي؟!!

وضع كفيه في جيبا بنطاله، ثم قال:

- كنت أريد أن أتأكد من وفائك بوعدك، ومراقبة تصرفاتك
وانفعالاتك أيضًا حتى أطمئن للوثوق بكِ وضمك أنتِ وسامي
إلينا

عقدت ذراعيها على صدرها وهي تضيق عينيها وتقول:

- ومن قال إنني سأود الانضمام أنا وأخي إليكم
- أعتقد إنكِ ستودين ذلك للوصول إلى نتيجة أسرع في
الخلاص من تلك العصابة التي تتاجر بالأطفال

ضيقت عينيها وهي تحاول سبر أغواره، ثم قالت:

- ربما أنتِ على حق.. ولكن إلى أي درجة ستفيدني

رفع حاجبه بثقة وقال:

- إلى مدى سيجعلك تتفاجئين

صمتت ثائرة قليلاً وهي تفكر بجدية، فاستطرد يقول بصدق
استشفته ثائرة منه:

- أنا أريد ضمكما لأمر آخر أيضًا يا ثائرة.. أريد حمايتكما،
فسامي قد يتعرض للخطر إن اكتشفه أحد وسيُدمر مستقبله
كما أنتِ كذلك، خصيصًا إن نشرتي الفيديو الذي قمتِ
بتسجيله في المكان الذي وجدنا فيه الأطفال المخطوفة،

ستفتحين أكبر الأعين المتربصة عليكِ وسيهاجمونك وأنتِ
وحدك

أطرقت ثائرة بقلق تفكر فيما قاله، ثم سألته بغتة:

- لماذا تريد مساعدتي أنا وأخي؟
- لأنكِ تحاربين في نفس الجهة التي أحارب فيها، قضيتنا كبيرة
وتستحق بذل الجهد والتعب.. كما إنني أعرف والدك ومن
المعجبين بقلمه وعلمه وثقافته، كان رجلاً نبيلاً بحق، ولا
أريد أن يتأذى ولديه

تأثرت ثائرة على ذكر والدها، لتجد إنه يحميها بسيرته الطيبة حتى
بعد مماته، نظرت إليه والدموع تلمع في عينيها وقالت:

- حسناً، أنا موافقة ولكن عليّ أن أتحدث مع سامي أولاً
- حسناً، وإن طلب مقابلي سأكون عندكم.. وهذا رقمي

مدت يدها وأخذته منه ثم قالت:

- حسناً، شكرًا لك

ثم عاودت السير مرة أخرى لكن بوتيرة هادئة، وجاورها أوس في
صمت؛ لتقطعه سائلة:

- هل توصلت إلى أي شيء بعد مهمة تحرير الأطفال من ذاك
المكان؟

- نعم.. لقد راقبت المكان بعد ما علمت أنهم تخلصوا من حنتيرة في الحال، ولقد وجدت خيط قد يقودنا إلى الكبار في هذا العمل

- هل أنت متأكد من أن ذلك الخيط حقيقي؟، أنا أعتقد أنهم ليسوا بهذا الغباء ليقوموا بخطأ مثل هذا؛ فحنتيرة المسيطر على تلك المنطقة قد كُشفت فبالتالي سيتأكدون أن تلك المنطقة قد كُشفت ولن تكون أمان لظهور طرف آخر قد يصلهم بأي خطر

ابتسم أوس لذكائها:

- صدقيني غرورهم أو طمعهم سيجعلهم بهذا الغباء، لكن علينا الحذر هذه المرة وأن نتحرك دون تهور حتى لا نفقد الخيط الوحيد الذي سيقودنا إليهم

- معك حق!... لكن أخبرني من يكون هذا الخيط؟!

- اسمه "عاصم سيد الدوولي" في الخامسة والثلاثين من عمره، مدير مشفى السلام الاستثماري، والده يملك نسبة كبيرة من أسهم تلك المشفى كما أنه صاحب عقارات وأراضي، يعيش وحده لكن جيرانه يشكون من سوء أخلاقه وسوء جيرته

- وكيف عرفت أنه الشخص المنشود؟

- من تنكره السيء عند دخوله لمنطقة حنتيرة، فعيني لم تغفل
عن الساعة الرولكيس غالية الثمن والسوار الذي من الفضة
الخالصة على ثيابه الرخيصة البالية، أو أطراف الوشم التي
تظهر عند أطراف كمه وياقته، ثم دخوله لوكر خصم حنتيرة

عكست ثائرة ما بين حاجبيها بتفكير، ثم قالت:

- كلها أمور منطقية، ولكن ما الغريب في رسم وشم!، هل هو
وشم متعارف بينهم، أم ماذا؟

ابتسم أوس موضحاً:

- لا، ليس وشم متعارف عليه بينهم، ولكن رسم الوشوم بتلك
الجودة لا يقوم به إلا المرفهين، لن يقوم رجل فقير أو متوسط
الحال برسم وشم قد يكلفه مبلغ من المال، إلا لو كان فرد من
عصابة، وحتى هؤلاء سيلجئون إلى رسم الوشوم الشعبية
التي تفتقر للدقة وجودة الأحبار المستخدمة

أومأت رأسها بفهم، ثم نظرت حولها وهي تقول باستغراب:

- كيف قطعنا كل تلك المسافة إلى بيتي

تفاجأ هو الآخر ثم ابتسم إبتسامة رائقة ونظر إليها قائلاً:

- لقد مر الأمر سريعاً

توترت نائرة من تلك الإبتسامة ومن عينيه اللتان تلمعان وقالت
بسرعة:

- أظن أنه يجب علىّ أن أدخل البيت الآن؛ فبالتأكيد سامي
أصابه القلق لأنني تأخرت وخاصةً إنني نسيت هاتفني بالبيت
قبل النزول إلى الشارع

- أظن ذلك أيضاً

- إلى اللقاء

تقدمت ثلاث خطوات ليوقفها قائلاً:

- أفضل معروف قد تقدميه لسامي أن تحمي نفسك جيداً يا
نائرة، لا تجعلي من أحبوكي يكتوون بنيران الفقد

أطرقت في صمت، ثم نظرت إليه مرة أخرى، ليستطرد:

- لا تنسي هاتفك مرة أخرى!

أومأت برأسها في هدوء وهي تنظر إليه بسكينة لم تعدها من قبل
إلا مع أبيها، ثم سألته:

- اسمك أوس، أليس كذلك؟

ابتسم لها وأوماً برأسه إيجاباً؛ فابتسمت ابتسامة خافتة، ودخلت إلى
بيتها، ثم رحل بعدها في هدوء.

دخلت من باب المنزل لتتفاجأ بوجود طارق مع سامي؛ يقابلانها
بفرع ولهفة، فقالت بهدوء على غير عاداتها:

- ما الأمر؟

فقال سامي بعتاب:

- أتسخرين منا يا ثائرة.. لقد غبتِ ست ساعات كاملة أو أكثر،

ولم أستطع الوصول إليك، حتى طارق أيضاً

ربتت بهدوء على كتف أخيها ونظرت إليه بحنان وهي تقول:

- أنا آسفة يا حبيبي لقد أقلقتك كثيراً

فصاح بها طارق:

- ما هذا الاستهتار يا ثائرة، تركتي هاتفك، وخرجتِ بدون أن

نعرف إلى أين ذهبتِ!، أحوالك هذه لا تتم عن عقل سليم أو

حكمة

تغيرت نظراتها الهادئة وتحولت إلى نظرات ثائرة:

- أفهم إنك قد قلقت على بدافع زمالتنا وشرائكتنا في البحث عن

حل قضيتنا، وأنا أقدر هذا لأنني اعتبرك مثل أخي سامي،

ولكن لا داعي أن تقلق أكثر من اللازم..

شحب وجه طارق بغتة وشعر بالخيبة مما تقصده من وراء كلماتها
،ثم نظرت إلى اثنتينهما واستطردت:

- ثم ما الخطأ الذي اقترفته عن عمد لكي تغضبا، لقد نسيت
هاتفني دون قصد، كما إنني لست من النوع الضعيف الذي قد
يتعرض للخطر بسهولة

فقال سامي:

- أعلم يا ثائرة، ولكني أعلم أيضًا أنك عندما تكونين غاضبة لا
ترين أمامك وقد تشردين وأنت تفكرين، قلقت بأنه قد يصيبك
مكروه دون أن تعي، وأيضًا مهما كنت قوية وذكية فأنت
معرضة كذلك للخطر، هذه احتمالات حقيقة أي إنسان
معرض لها

ابتسمت ثائرة له، ثم قالت:

- معك حق، سأتوخى الحذر منذ الآن.. كما إنني لم أكن وحدي
اليوم

انتبهها لجمالها الأخيرة؛ خاصة طارق الذي اقترب منها ومن سامي،
ثم سألها في حنق:

- هل قابلت ذلك المتوحش وحدك

نظرت له ثائرة بنفاز صبر، ثم قالت:

- لقد قلت لك من قبل إنه ليس بشخص سيء
- لكنه غير عادي كما وصفته لنا من قبل، لقد قفز من النافذة ولم يصبه مكروه!، ألم يهزم حنتيرة الضخم بقبضة واحدة كما تقولين

- ورفع اليوم شخصاً من عنقه وكأنها يحمل قشة

اتسعت عينيه من برودها، وهدر بغضب:

- ألا يخيفك هذا؟

- لا، لا يخيفني!، لأنه استعمل تلك القوة لهزيمة حنتيرة عدونا، ولم يمسنني بسوء بعدما لاحظ وجودي بمنزل حنتيرة، وهذا دليل كافي يثبت إنه ليس متوحش يستخدم قوته في تدمير أي أحد، وعندما أمسك الرجل من عنقه هذا اليوم؛ كان لأنه يحميني، فهذا الرجل كان سيؤذيني لولا تدخله، كما أنه هدده بألا يتعرض لأي امرأة أو طفل يدخل تلك المنطقة

صمت طارق واندفع سامي ناحيتها قائلاً بفرع:

- ماذا!، ما الذي حصل؟

- كما قلت يا صغيري.. عندما أغضب أو أقلق أمشي بشرود وأنسى وجهتي من كثرة التفكير

عكس سامي ما بين حاجبيه وقال بعتاب:

- أرجو أن تغيري تلك الصفة فيكي، أو على الأقل أن تستمعي لي عندما تتشتتين
- حسنًا موافقة

خرج طارق عن صمته وقال:

- الحمد لله إنك بخير يا ثائرة.. لكن كيف عرف مكانك!، وبماذا أخبرك بعد ما تقابلتما؟
- لقد كان يتبعني طوال اليوم؛ لذا أنقذني في الوقت المناسب، قا...

قاطعها طارق مضيقًا عينيه في حنق وقال بحدة:

- يتبعك... وما زلتني تثقين به يا ثائرة وتقولين عنه شخص جيد
- اهدأ قليلاً يا طارق، دعني أكمل لك حتى تفهم لما كان يتبعني

فقال بحنق ونفاذ صبر:

- أكملني يا ثائرة!
- مهلة اليومان لم تكن إلا اختبار منه لنا، كان يريد أن يعرف إن كنا سنفي بالوعد أم لا، أيضاً أراد معرفتنا بشكل أكبر لذا تتبعني وبالتأكيد تتبعك أيضاً يا طارق، كما أنه أيضاً يعرف بأمر سامي وأمر إجادته الاختراق العنكبوتي، وكل ما في الأمر أنه أراد أن يعرف إن كنا سنكون محل ثقة أم لا

- لماذا؟... لماذا يريد أن يعرف إن كنا محل ثقة أم لا؟!!
- لأنه يريد ضمنا إلى فريقه في البحث عن تلك العصابة

فسألها سامي تلك المرة:

- وما السبب الذى جعله يريد أن يضمنا إلى فريقه وهو فريق قوي لا يحتاج إلى المساعدة؟!!

- عندما سألته عن السبب قال لي إنه يريد حمايتنا؛ لأن نشر الفيديو الذى معنا والمقالات التى سأكتبها ستجعلنا عرضة للخطر حتى وإن كنا نعمل متخفيين، كما إنه يرانا كفؤ؛ وخاصةً أنت يا سامي، لقد قال إنه سيوفر لك جميع الإمكانيات؛ لأنه يرى أنك تملك مهارات عالية

ابتسم سامي بسعادة وهو يتخيل كل الأجهزة التى يحتاجها، ثم قال بحماس مندفع:

- رائع

فابتسمت ثائرة على رد فعله، ليستطرد بجدية مرة أخرى وهو يتمعن في عينيها يسألها:

- هل أنت واثقة به؟

فنظر إليها طارق منتظراً ردها بقلق وتوتر؛ لتقول:

- أظن أنني أثق به

فنزلت الخيبة على قلبه ثقيلة، وأخذ يتمعن بألم عينيها اللامعتين
والواثقتين وهي تقول جملتها الأخيرة ليتوقع رابطاً قد ينشأ أو ربما
نشأ بينها وبين ذلك المسمى أوس.

بين أمواج الأجساد المتمايلة والعيون العابثة والشاخصة والمضطربة، وقف عاصم أمام فتاة ترقص بكامل قوتها وكأنها تتلوى من حالة صرع، ترتدي ملابس غريبة الهيئة، سوداء تُظهر أكثر مما تُستر، تضع الكحل بكثرة حول عينيها كما شفتيها التي تلونت بصبغة سوداء قاتمة؛ لتتوقف برويته أمامها ثم ابتسمت بخبث وهي تعدل من وضعية القرنين الصغيرين فوق رأسها، ثم قالت وهي تجره من يده:

- تعال معي

أخذته بعيدًا عن الضوضاء ونظرت له بقامتها القصيرة وملامحها الناعمة التي لم تشفع لناظرها عن الهيئة الشيطانية التي تتلبثها، ثم قالت بنشوة شبقة:

- هل أحضرت لي ما طلبته؟

ابتسم هو الآخر وكان لا يقل عنها قبحًا وشيطانية وهو يناولها قارورة زجاجية وهو يقول:

- خذي هذه القارورة إلى حين أعطيكِ أخرى في وقت لاحق

تناولتها من يديه بلهفة وهي تنظر إليها وتقول:

- أنت رائع يا عاصم

ثم نظرت إليه بغنج وهي تقول:

- كنت أعلم أنك وحدك القادر على الإتيان لي بها

فنظر إلى وجهها الصغير الناعم، ثم أخذ يتفحص جسدها المائل

ناحييته؛ يلتهمه بعينيه، ثم قال وهو يجذبها من خصرها بقوة:

- أعلم، ولكن الأهم الآن هو الثمن يا عزيزتي

- أعلم، وسأعطيك كل ما تريده.. لكن أريد شيئاً آخر وأعلم إنك

وحدك الذي تستطيع تنفيذ طلبي ودون أن يتعرض أحدنا

للخطر

ضيق عينيه بفهم وهو يقول:

- أعتقد إنني أعرف ماذا تريدين؟

ابتسمت بسمة شيطانية وهي تقول:

- إذاً أريد ثلاثة أطفال

- لك ما تريدين

(١٢)

دخل أوس بسيارته المسرعة من بوابة ضخمة يقف عليها حارسان أقوياء يشبهون أوس في نظراته وطلته، ثم وقف أمام قصر كبير يقف أمامه عُدي. نزل أوس من السيارة متجهًا ناحية صديقه وهو يقول بحيوية:

- هل سنقبض عليه اليوم؟

ابتسم عُدي لحيويته وقال:

- نعم وبعض من أولئك القذرين الذين يطلبون الأطفال

وقف أمامه والنيران تشتعل في عينيه وهو يقول:

- جيد

ثم استمر بالسير وبجواره عُدي حتى التف إلى الباحة الخلفية للقصر الكبير، ثم أمسك حلقة حديدية مختبئة بين الحشائش الخضراء الكبيرة ورفع غطاء حديدي مغطى بطبقة كبيرة من التربة الطينية المغطاة بتلك الحشائش، ثم نزل على السلالم الموجودة أسفله، وأغلق عُدي الغطاء من خلفهما. نظر أوس أمامه وعلى الجدران المصفحة بمادة عازلة تمنع الأقمار الصناعية من التقاط صورًا له، ثم قال:

- ما هي أخبار خالتي يا عُدي؟

- إنها مستاءة منك لأنها لا تراك

عكس أوس ما بين حاجبيه بقلة حيلة وهو يقول:

- أمي أيضًا مستاءة مني، ولكن ماذا عليّ أن أفعل؟!، أنا

مشغول جدًا، خاصةً تلك الأيام بسبب تلك القضية التي نحقق

في أمرها، كما عليّ الاهتمام أيضًا بالأعمال الأخرى

- أعلم أن تلك القضية تستحوذ على عقلك بشكل كبير، ولكن

من الممكن أن تعتمد علينا أكثر من ذلك وتركز على أخذ

قسطًا من الراحة

- لن أستطيع أبدًا أخذ قسطًا من الراحة ما دام الأطفال

يُختطفون ويُقتلون لأسباب شيطانية في ربوع وطننا يا عُدي..

لا أستطيع!

ربت عُدي على كتفه وقال:

- أتفهم هذا، كما أنني أعلم أن عائلتنا تتفهم ذلك أيضًا

فنظر له وابتسم ، ثم قال:

- أنا ممتن لك يا عُدي، تواسيني وأنت الذي أجلت أعمالك

وموعد زفافك لتحل تلك القضية معي

ابتسم الآخر له، ثم انتبها لصوت الآلة التي تطلب التحقق من هوية الواقفان؛ فنظرا إليها؛ لتطلق شعاع ليزر للتحقق من قزحية عيناهما وكامل جسدهما، ثم أذن لهما بالدخول، وفتح الباب الذي يفصلهما عن المعامل المختلفة وغرف التشغيل الأخرى. فُتح الباب ليجدا أمامهما طيبة وهي تعقد يديها على صدرها في حزم وترتسم على وجهها علامات الحنق والغضب، فسألها أوس بارتياب:

- ما الأمر؟

- هل صحيح أنك ستحضر ذلك الفتى الذى يدعى سامي إلى

هنا؟!!

نظر لها وحاول الإجابة بحذر:

- وما المشكلة يا عزيزتي؟

فقالته بغضب مكتوم:

- المشكلة هي إنك حتمًا لا تراني جديرة بالعمل، وأن ذلك

المسمى سامي يتفوق على.. أليس كذلك؟

اقترب منها أوس وهو يحوط كتفيها بذراعه وهو يقول:

- عزيزتي اسمعيني جيدًا، التفوق أمر مكتسب وليس حكرًا

على أحد أيضًا، أنتِ متفوقة وستظلين متفوقة إن حرصتي

على ذلك

ثم نظر إليها وقد وجدها قد هدأت وارتسمت ملامح التعقل على وجهها، ثم استطرد:

- وجود سامي هنا سيساعدك ولن يكون تنافسيًا، وحتى وإن كان يملك خبرة أكثر أو إمكانيات أكثر؛ فهذه فرصة لتتعلم مني، كما إنه بالتأكيد سيتعلم منك أيضًا

فابتسمت برضا وقالت:

- حسنًا!، أنت على حق يا أخي

فابتسم هو الآخر، ثم نظرت إلى عُدي الذي كان يبحث بعينه عن شخص بعينه؛ فقالت وهي تبتسم إبتسامة لئيمة:

- سلمى ليست هنا، لقد خرجت منذ نصف ساعة

- هل هي غاضبة؟

فقالت بتهويل وهي تفتح عينيها على آخرهما وتلوح بيديها بطريقة مسرحية:

- إنها تستشيط غضبًا

فعكص عُدي ما بين حاجبيه بحزن وقلق؛ فاستطردت:

- أقلق جيدًا يا ابن خالتي، فسلمى بعد فعلتك تلك لن تسامحك بسهولة

- ماذا كان عليّ أن أفعل!، لم أستطع مقابلتها هذا اليوم كما وعدتها

- لم يكن عليك أن توعدها منذ البداية وأنت لا تستطيع الوفاء بهذا الوعد، كما إنك كنت تستطيع إعطاء مهمتك لرجل آخر من عشيرتنا

نظر عُدي إلى الأرض بخجل وندم، ثم قال وهو يتلعثم:

- المشكلة هي أنني نسيت ميعادنا!

فغرت الفتاة فاهها وقالت بحنق:

- تستحق يا عُدي أي ما ستفعله بك... كيف تترك الفتاة تنتظر في إحدى المطاعم وحدها ثلاث ساعات كاملة، ألم تقلق أن يتعرض أحدهم لها حتى وإن كان بكلمة أو نظرة!، صحيح نحن نساء عشيرة الأوس أقوىاء ولكننا في النهاية نساء نخدشنا كلمة وتوجعنا نظرة قبيحة ونخاف من أن يحاول أحدهم فقط مس حرمتنا

اهتز جسد عُدي ونز جبينه عرق غزير وهو يتخيل أحدهم يتعرض لسلمى بكلمة سيئة أو ينظر إليها بطريقة قدرة، فأغمض عينيه بقوة وهو يحاول نفض تلك التخيلات التي لا يستطيع تحملها وهو يشد من قوة قبضتيه، فتدخل أوس وهو يقول لطيبة ناهراً إياها:

- كفى يا طيبة ولا تكوني قاسية!، عُدي لم يقصد ذلك فلا
توجعيه بقصد...

فقال عُدي له:

- اتركها يا أوس، أنا حقًا أستحق هذا

نظرت له طيبة ولعروق جبينه النابضة وعظام فكيه البارزة من
ضغطه عليهما، وقبضتيه المشدودتان وعينييه التي غارت في
محجريهما ووجه الذي شحب لونه؛ فرأفت بحاله وهي غاضبة من
نفسها لأنها قست عليه هكذا، ثم قالت:

- أنا أعلم إنك لا تقصد يا عُدي، وأدرك أيضًا مدى الألم الذي
تشعر به الآن بسبب كلماتي الطائشة.. أنا آسفة، ولا تحزن؛
فسلمى ليست غاضبة كل هذا الغضب، كما إنها تقدر أنك
مشغول حتى أحمص قدميك، وتعلم تمام العلم أنك تخاف
عليها حتى من نسمات الهواء العليل، وأنت تعرفني وتعرف
طباعي ولساني الحاد، أنا آسفة مرة أخرى

فقال لها عُدي بامتنان:

- لا تعتذري يا طيبة، فطباعتك تلك تنتقدنا أحيانًا، لقد نبهتيني
لخطأ كبير كنت سأقترفه بحق نفسي وبحق سلمى

ابتسمت طيبة، ثم قالت:

- حسنًا، اذهب لها الآن، إنها في الحديقة الكبيرة مع والدتها
وأختها

فركض مسرعًا إليها وفي قلبه لوعة، وخوف عليها واشتياق يتعدى
حدود المؤلف والمعتاد.

(١٣)

عند منتصف الليل وقف أوس يرتدي سترته الجلدية بعد أن تجهز استعدادًا للإمساك بأولئك المجرمين وهو على أحر من جمر. خرج من غرفته؛ ليقابله عُدي وهو يقول في لهفة:

- لقد تأخرت قليلاً، فوراً سأجهز وأنضم إليكم

أمسك أوس كتفه يوقفه وهو يقول:

- أرجوك يا عُدي توقف فأنت تهلك نفسك، لن تستطيع أن تحل محلي ومحل الآخرين وتلتزم بواجباتك ناحية عائلتك في نفس الوقت، اعمل بكل طاقتك كما تريد لكن عليك أن تجد من يناوبك في بعض الأحيان

نظر له عُدي بتفكير؛ فاستطرد أوس:

- ألا تثق بي؟

فاجأه سؤاله، فقال:

- هل جننت يا أوس!، بالطبع أثق بك؛ فأنت قائدنا

- إذا اهتم الآن بأعمالك قليلاً، وعندما أرجع ناوب عني؛ لأنني

سأزور بيت عائلة ثائرة

فابتسم وهو يقول:

- هل تتخذ الأمور منحى عاطفي الآن؟!!

فابتسم أوس أيضاً وهو يقول بشغب:

- لن أمنعك من التخيل ولكن كل ما في الأمر هو أنني

سأزورهم لتحقيق رغبة سامي قبل الانتقال معنا هنا

- وأيضاً تريد أن يكونا هنا بيننا رغم إنك تستطيع حمايتهما من

أي مكان آخر!... هل هذا سر؟!!

- أمهلني وقت وربما يصير السر علناً قريباً بإذن الله

- بإذن الله... ستأخذ معك من؟

- سأخذ صهيب وسهيل

- ما زالا صغيرين يا أوس، أنهما بعمر طيبة أختك تقريباً

- إذن يجب أن ينزلا لأداء المهمات منذ الآن، ألا تتذكر عندما

خرجنا أنا وأنت ونحن أصغر منهما، يجب أن يقوموا بالتجربة

ثم استطرد منهياً:

- هيا إلى اللقاء

- إلى اللقاء

خرج أوس لصهيب وسهيل المنتظران أمام السيارة، ثم انطلقوا

جميعاً إلى أن وقفوا أمام بيت عاصم، وقفوا قليلاً ينتظرون خروجه

؛حتى خرج، ثم انطلقوا مرة أخرى خلفه في تخفي حتى وقف هو

لمدة لا تقرب الثلاث دقائق؛ اقترب فيها رجل ما من الشارع من

نافذة سيارته فناوله ظرف ممتلئ، ثم انطلق مرة أخرى وهم خلفه على نفس الوتيرة حتى توقف مرة أخرى وترجل من السيارة أمام بيت كبير في منطقة هادئة جدًا لا يملؤها الكثير من السكان؛ ودخله. وانتظروا هم قرابة الربع ساعة دون أن يحصل شيء آخر، أو تخبرهم طيبة بالدخول على المجموعة، انقبض قلب أوس وهو يتصل بطيبة يسألها:

- ما الأمر؟!

- لا أعلم يا أخي، ولكنني لا أسمع أو أرى أي شيء

- ربما وضع سترته التي تحتوي على هاتفه في مكان آخر غير

الذي هم فيه!

- ربما!

شرد أوس قليلاً ثم طلب من أحدهما أن يلتفت حول البيت ويبحث عن مدخل آخر؛ فاستجاب صهيب وخرج ليرجع بعدها إلى أوس مؤكداً أن هناك مدخل يستطيعون الولوج منه إلى البيت بهدوء، خرج أوس مسرعاً ومن خلفه صهيب وسهيل، ثم أخذوا بتسلق البيت في همة حتى دخلوه، ليجدوا أربعة أفراد يتحلقون حول جثة طفل صغير مصفى دمه بداخل قلب النجمة الخماسية "نجمة الشيطان" وهم يرددون كلمات يبدو إنها تعاويذ وطلاسم، زمجر أوس وداخله يتلوى من الغضب وصاح بحدة:

- لقد ضحوا بالطفل قربانًا للشيطان مولوخ.. امسكوهم، لا تجعلوا أحد منهم يفر

جفل الأربعة من صوت أوس المفزع، ولم يستطيعوا الهرب من قبضة سهيل وصهيب القوية التي صعب مقاومتها لقوتها البدنية وسرعتها في تكبيلهم، ثم دخل أوس كالمجنون يبحث في بقية الغرف عن الطفلان الآخران وهو يدعو الله أن يكونا بخير ولم يلحقهما أذى، وعن عاصم الذي أقسم أن نهايته ونهاية الذي يعمل عندهم ستكون على يديه اليوم. وفي حجرة من الحجرات الكثيرة وقف أوس أمام طفلان عاريان مكبلان بأحد الكراسي وهم سيكون بقوة، انتفض ذعرًا واقترب منهما وهو يحاول طمأنتهما قائلاً:

- لا تخافا، لقد جئت لأنقذكما، لا تخافا أنا هنا والحمد لله

توقف الطفلان عن البكاء لكنهم كانا يصدران نسيج متقطع؛ قطع نياط قلبه، فأخرج أداة معدنية فك بها قفل الأساور الحديدية التي تكبل يديهما، وساعدهما في ارتداء ملابسهما مجددًا، ثم انطلق يعدو إلى الخارج عندما سمع صوت إطلاق عيار ناري.. ليجد أن سهيل أصيب في كتفه، وصهيب يقفز من النافذة ليلحق بعاصم الذي فر هاربًا من قبضته، ركل الأرض بغضب وحنق وهو يصيح بقوة ويدمر كل ما تطاله يديه حتى وإن ثقل وزنه؛ كان يحمله ويرميه وكأنه ورقة:

- لن تهرب مني.. لن تفلتوا من تحت يدي ولن أتردد في تدميركم

ولم يفق إلا على كلمات الفتاة الشيطانة صاحبة الملامح الناعمة تقول بانبهار وهي تدير نظرها بين سهيل الذي يقف بقوة رغم إصابته في كتفه بعيار ناري وأوس الغاضب:

- أنتم مختلفون!، تملكون قوة كبيرة ومغرية

ثم وقعت نظرتها الأخيرة على أوس وهي تبتسم بسمتها اللعوب وقالت:

- ويعجبني عنفوانك

نظر لها أوس بقرف وهم يقترب منها ثم قال ببرود وبصوت يملأه الرغبة في الانتقام وتتردد فيه نبرة الكره:

- سأجعلك تكرهين اليوم الذي رأيتيني فيه

ابتسمت بسمة خافتة واثقة وهي تقول في نفسها: "النرى من سيفوز".

دخل صهيب عليهم المكان مرة أخرى وهو ينظر لأوس بخيبة وقال:

- لم أستطع اللحاق به، لقد سبقني بسيارته

اكفهر وجه أوس بفرار عاصم دون استطاعة أي منهم الإمساك به،
ثم قال بعد أن أطرق قليلاً يفكر:

- هيا بنا نذهب من هنا، واكلوا أولئك الحمقى مع بعضهم
البعض سنأخذهم معنا

امتثل كلاً من سهيل وصهيب لطلبه واكلوا الأربعة، وأخذ أوس
الطفلان، ثم انطلقوا بالسيارة بعد أن أغموا أعين الأربعة الذين
قبعوا بالخلف حتى وصلوا إلى منطقتهم واستقبلهم كل من زيد
وأنس ويونس وعُدي، فخرج أوس من سيارته واتجه ناحيتهم وقال:

- أريدكم أن تعرفوا عنهم كل شيء وعن جماعتهم هنا
ونشاطهم

فأوماً الأربعة بالإيجاب، ثم نظر إل عُدي وقال:

- لم تعرف طيبة أين هو؟

نظر له عُدي بأسف وقال:

- للأسف لا، لقد تخلص من هاتفه ولم يرجع إلى بيته حتى الآن

فنظر إلى الفتاة المكبلة وقال:

- استجوبها جيداً، تلك الفتاة قد تعرف مكاناً آخر له لا نعرفه

- لا تقلق، سنقوم بكل ما يلزم

ثم نظر أوس إلى ساعته وقال:

- يجب أن أذهب الآن لمقابلة ثائرة وأخيها

- حسناً يا صديقي، إلى اللقاء

(١٤)

فتح سامي الباب الذي قُرع جرسه منذ ثواني، ونظر إلى أوس الذي وقف بجبينه الواسع السطح وعينيه المميزتان، ومنكبيه العريضان، فقال مبتسماً بخفوت:

- أوس، أليس كذلك؟

ابتسم أوس بود وأجاب:

- نعم

- تفضل بالدخول

دخل أوس من باب البيت ليجد طارق في استقباله يتفحصه بعينيه وهو يضع يديه خلف ظهره؛ فوقف أمامه وهو يشعر بأن هذه أسوأ ليلة مرت عليه، ثم مد إليه يده؛ فسلم عليه طارق وهو يقول:

- أهلاً

رد أوس ببرود:

- أهلاً بك

ثم أدار عينيه في المكان يبحث عنها؛ فأضاق طارق عينيه في ضيق وهو يقول بنفاذ صبر:

- اجلس هنا

نظر له أوس بطرف عينيه وهو يشعر بالغيظ، ثم قال بملء فمه:

- أين نائرة؟

وقف طارق بتأفف وقبل أن يجيب؛ أجابت نائرة وقالت:

- أنا هنا!

ثم وقفت أمامه تحمل صينية عليها كوب عصير وهي تقول:

- مرحبًا بك في بيتنا، تفضل بالجلوس

ثم قدمت له العصير، فأخذه بود ورحابة صدر، وهو ينظر إلى طارق باستفزاز ليستفزه، ثم رشف رشفة من العصير، ونظر لسامي وقال مطمئنًا إياه:

- أنا هنا لأجيب عن كل أسئلتك التي تود طرحها يا سامي حتى تكون مطمئنًا لوجودك بيننا أنت وأختك

ابتسم له سامي بارتياح وقال:

- طبعًا أود أن أسألك عدة أسئلة ولكن كان عندي فضول لأراك أولاً للتحقق من كلام نائرة عنك وأرى الصفات التي تحدثت عنها

فابتسم وهو ينظر لثائرة؛ فشعرت بالخجل لأول مرة من نظرتة
وابتسامته، وشعر طارق بالضيق بسبب الأمران، ثم نظر له مرة
أخرى وسأله:

- وما هو رأيك بي؟
- حقًا أشعر بالارتياح.. وأتمنى أن أكون على حق بارتياحي لك
وانضمامنا إليكم
- لا تقلق أبدًا يا سامي، مع الوقت ستتأكد من أنك كنت على
حق

ابتسم سامي بود ثم استطرد:

- الآن أود أن أسألك بعض الأسئلة

انتبه له أوس واعتدل له في جلسته ثم قال:

- تفضل يا سامي
- من أنتم يا أوس؟.. عندما حدثتني ثائرة عن الرجال الذين
كانوا في البيت الذي حُبس فيه الأطفال شعرت بأن هناك
رابط أو صفة تجمعكم

ابتسم أوس لذكائه وتحليله لكل حدث وتفصيلا صغيرة بدقة
وقال:

- نحن عشيرة يا سامي، تربطنا صلة الدم وكذلك الأعمال المشتركة، وعشيرتنا تلك من قديم الزمان تعاهدت على الوقوف أمام الظلم والفساد وأصحابه.. يمكنك أن تقول إننا أصبحنا كمنظمة بقلب رجل واحد، ونمول منظماتنا تلك بالمال الذي نكسبه من أعمالنا المختلفة وبأفراد من رجال وشباب ونساء عشيرتنا ولا أحد غيرنا

تفكر سامي قليلاً ثم قال:

- ولكنك ستضمننا إليكم ونحن أغراب عنكم؟

ابتسم أوس ثم قال بثقة:

- عشيرتنا قد تثق ببعض الناس ولكن ليس كل الناس، كما أنني أرى فيكم بعض صفاتنا لذا أنا مرتاح، كما كبار عشيرتي يرتاحون، خصيصاً لأن والدك السيد "كريم" شخص معروف بيننا بشخصيته القوية وقلمه الجريء ودفاعه عن الحق

ثم صمت قليلاً ليستطرد بعدها بحنين:

- كما أن والدكم كان صديقاً عزيزاً لوالدي وخالي

ثم أخرج صورة قديمة اصفرت أطرافها وأعطاها له؛ فنظر سامي لثائرة وكذلك هي؛ ثم إلى الصورة التي أمامهما والتي تجمع بين ثلاثة رجال من بينهم والدهما، فنظر سامي إلى أوس وقال:

- أنا موافق للانضمام إليكم يا أوس

ابتسم أوس براحة وانتصار ثم قال:

- لقد أرحتني يا سامي.. والآن هيا بنا لنذهب من هنا

فنظر سامي إلى طارق، ثم إلى أوس وقال:

- سيأتي معنا طارق يا أوس، أليس كذلك؟

نظر أوس إلى طارق الذي أصبح لا يطيقه فجأة وقال:

- طبعًا علينا حمايته أيضًا، ولكن لا بد أن يكون هناك سبب

لاختفائه حتى لا يرتبط أمر اختفائه باختفاء ثائرة واختفائك

معها ولقد رتبت لهذا الأمر

فقال سامي بحماس:

- أخبرنا ما الخطة!

- سيخبر الجميع أنه سيسافر لأجل عمل عُرض عليه في

الخارج، وسأقوم بإخراج الأوراق اللازمة لإثبات ذلك، ثم

أقوم بحجز تذكرة له ليسافر، وعندما أتأكد من مرور الأمر

بسلام سيرجع إلى هنا مرة أخرى

ثم نظر إلى طارق ببرود واستطرد:

- وسيكون معه أحد أفراد عشيرتنا حتى لا يستبد به القلق

رفع طارق حاجبه بضيق وقال:

- وأنت تظن أنني طفل أقلق وأخاف

ابتسم أوس يستفزه أكثر، فتدخلت ثائرة عندما شعرت بشرر التنافس يتطاير من عيناها وهي تقول:

- أظنها فكرة رائعة يا طارق، هل ستوافق؟

نظر لها طارق ثم ابتسم وقال وهو ينظر لأوس الحانق:

- تبدو جيدة!..

ثم نظر لها مرة أخرى واستطرد:

- ولكنني لن أستطيع ترك والدتي ووالدي وحدهما، خاصة أن أخواتي مسافرات مع أزواجهن وأخي الكبير كذلك، لذا سأخذ إجازة من العمل وسأحضر كل يوم حتى اطمئن عليكما، ولكن اليوم استثناء لأنني سأذهب معكما حيث سيأخذكما وأبيت حتى أرتاح

فنظرت له بقلق، ثم نظرت لأوس وقالت:

- هل سيكون بخير؟

- سأفعل ما يلزم لحمايته وحماية والديه من بيتهم، لا تقلقي

ابتسمت ثائرة في راحة وقالت له بامتنان:

- شكرًا لك

فابتسم لها بالمقابل وهو يتسائل في سره بحيرة: "هل تهتم لأمره
لهذه الدرجة؟!"

(١٥)

خرجوا جميعًا من البيت وركبوا السيارة مع أوس، وبعد فترة قصيرة من الصمت؛ قالت ثائرة:

- ماذا فعلت في أمر عاصم؟
- كنت سأمسك به منذ ساعتان، لكنه للأسف هرب مني
- لقد خسرت دليلك يا أوس، ماذا ستفعل الآن؟!
- سأمسك به مرة أخرى
- أعتقد أنهم سيتخلصون منه كما تخلصوا من حنثيرة
- أنا لم أحاول القبض على عاصم أثناء قيامه بأحد مهماته لهم، لقد حاولت الإمساك به وهو يقوم بمهمة خاصة به، كما أنه ليس بهذا الغباء ليكشف نفسه أمام رؤسائه وهو يعلم أنهم قد يتخلصون منه، وإن كان بهذا الغباء فسأعرف حين يتخلصون منه

فسأله طارق وهو يحاول إخفاء امتعاضه من أوس وهو ينال كل الانتباه من الجميع:

- ماذا كانت مهمته الخاصة تلك؟!، وكيف ستقبض عليه بعد إن اختفى؟

ابتسم أوس عندما لمس شعور الامتعاض في نبرته والذي يحاول أن يخفيه عن الجميع، لكنه قال بجدية:

- هناك علاقة تجمعهم مع فتاة من طائفة عبدة الشيطان، وقد طلبت منه ثلاثة أطفال، طفل لتقديم قربان والطفلان الآخران ليمارس صديقيها الآخران البيدوفيليا عليهما

اقشعر بدن ثلاثتهم، وتغيرت ملامح طارق إلى غضب وحنق وألم، ثم استطرد مجيباً سؤاله الثاني:

- أما كيف سأقبض عليه؛ فسأعلمك بأنني أحتجز الأربعة الآن، وسأجعل تلك الفتاة التي على علاقة به أن تخبرني عن أي مكان تعرفه قد يلجأ إليه، أو عن مكان كانا يلتقيان فيه لأضعه في حسباني

فقال سامي:

- يبدو أنه تخلص من هاتفه لذلك لم تستطع اللحاق به إلى المكان الذي اختفى فيه!

- نعم بالفعل، لذا أنا أعتمد على تلك الفتاة، وعلى إضطراره للخروج

فقالت نائرة بشغف:

- أتمنى أن تمسك به قريباً

ثم أردفت مرة أخرى بحماس يوحد من غضبها:

- أود رؤية تلك الفتاة وأصدقائها

فابتسم أوس وقال:

- عندما نصل افعلي ما تشائين

فأشعلت جملته تلك صدر طارق وهو يشعر بأنه أصبح دخيل على حياة الفتاة التي أحببها قلبه دونَّ عن بقية الفتيات، رغم أنه يعرفها منذ سنين وهو الذي لم يعرفها إلا منذ يومان!، ولشعوره المستمر منذ رؤيتهما معًا بأن لا أمل له.

وقف أوس أخيرًا أمام البوابة الكبيرة لمدينته، ثم خرج الثلاثة مبهورين بالبيوت الضخمة التي تظهر من الداخل، وعلى المنطقة الشاسعة الخضراء التي تحيط بها. ثم نظر سامي إلى الثلاثة الواقفون على البوابة بتمعن وهو ينظر إلى هيبتهم وأعينهم، ثم نظر لأوس وهو يقول:

- أنتم حقًا عشيرة تتشابهون في شيء ما، ربما في أعينكم!

فارتفعت على ثغره ابتسامة جانبية خافته وعيناه تلمعان وكأنهما نجمتان من السماء، ثم دخلوا جميعًا إلى الداخل وأخذهم أوس في جولة؛ أراهم فيها البيوت وأماكن التدريب، والحديقة الكبيرة، والبيت

الذي سيعيشون فيه، ثم أخيرًا أنزلهم إلى المكان السري تحت الأرض.

انبهروا ثلاثتهم بما وجدوه من معامل كيميائية يتم فيها تطوير عقاقير وأمصال و غيرها من الأمور التي لا يفهمونها، وبالمعامل الفزيائية التي يتم فيها اختراع الكثير من الأجهزة التي تساعدهم في المهمات، أما سامي فكان أشد انبهاره كان بالانترنت الفضائي الذي يمتلكونه وبمهارة المخترقين وإتاحة كل الأجهزة والإمكانيات التي يحتاجها، فابتسم وهو يقول:

- يا إلهي!، ما كل هذا المكان؟

فابتسم أوس بالمقابل وهو يقول:

- ذلك المكان أصبحت جزء منه الآن، وكل أمر ستحتاجه

سأعمل على توفيره لك، لقد أصبحتما مننا الآن

فكشر طارق حانقًا بعد أن استنناه أوس من جمعه مع سامي وثائرة وكأنه غير مرغوب فيه أو يتم استبعاده قصدًا. ونظرت ثائرة لأوس بحماس وهي تقول له:

- أريد رؤية تلك الفتاة وأصدقائها

نظر لها أوس ولمح تلك النظرة التي في عينيها واللمعة التي تملأها وكأنه يرى نفسه فيها، ثم قال بحماس:

- دعينا نذهب إليهم الآن

دخل الأربعة ممرات كثيرة ومتشعبة حتى ابتعدوا عن المكان الذي كانوا فيه، حتى وصلوا إلى مكان آخر ملئ بغرف كغرف التحقيقات وغرف أخرى كالزنابين وغرف أخرى مغلقة بقفل إلكتروني، ثم تقدموا ودخلوا ممران آخران ينفذان إلى ساحة كبيرة وقف فيها عدي ومعه رجلان آخران وثلاثة فتيات منهم طيبة وسيلا أختي أوس أمام الأربعة المقيدون على مقاعدهم، فنظرت أثير إلى أوس نظرة شيطانية لعوب، والتفت الجميع نحوهم. فوقف أوس أمامهم وقال بعد أن تجاهل نظرتها تلك:

- إلى ماذا توصلتم؟

فأجاب عدي:

- لا تريد أن تعترف بشيء، لكنها قالت إنها ستخبرك أنت

فنظر إليها وقال بحدة:

- ما الذي ستخبريني به؟

نظرت لعينيه بجرأة وقالت وهي تبتسم تلك الإبتسامة التي اشمأزت منها ثائرة وتضايق منها البقية:

- سأخبرك بكل الأماكن التي قد يكون فيها عاصم ولكن بشرط

- ما هو؟!!

- أن تكون لي

ثارت نائرة الجميع خاصة الفتاتان أختي أوس، وكذلك نائرة التي
تضايقت من أسلوبها وطريقتها الجريئة والغير أخلاقية، أما أوس
فنظر لها بجمود ثم قال بغضب مكتوم ومغلف بالبرود:

- ولماذا أنا؟

فقالته وهي تلوي عنقها كالحية بلامحها الناعمة ولمسها الناعم
المفرع وعينيها التي تبعثان على عدم الراحة للناظر إليها:

- عيناك اللتان تشعان بالحيوية والقوة، قوة بدنك، قوة تأثيرك
على كل من حولك، وسامتك!، أنت تملك جاذبية تأثرتني يا
أوس، فكن لي وسأعطيك كل ما تريده

فهدر فيها بقوة أفزعت كل من حوله وهو يقول:

- وما الذي أريده من شخص مثلك عنده قتل البراءة أمر كتنفس
الهواء، ما الذي أريده من كافرة تكفر بالذي خلقها وتعبد مسخ
سيهلكها في الدنيا قبل أن يهلكها في النار..

ثم استطرد بإشمزاز وهو يشدد على كل كلمة يقولها:

- ما الذي أريده من امرأة تزور أسرة الرجال كلما شاءت..
مالي ومال العاهرات

ارتفع بؤبؤها وهي تنظر إليه بغضب، ثم بدأت الأرض بالاهتزاز وهي تقول بصوت أجش في خضم فزع سامي وطارق وثائرة التي تماسكت سريعًا:

- لا تستفزني حتى لا أقتلكم جميعًا

فأخفض أوس رأسه قليلاً ناحيتها ثم نظر إلى عينيها بتحدي وقال:

- حاولي!

ثم وقف بقوة وشموخ؛ فاهتزت الأرض أكثر لتتقدم سيلا بجانب أوس وكذلك طيبة واصطف عدي والرجلان الآخران بجانبه وقرأوا آيات من القرآن؛ فأصبحت تزوم وتتشنج هي والثلاثة الآخرين فيزداد اهتزاز الأرض من تحت أقدامهم أكثر مع ازدياد وتيرة انطفاء أضواء المصابيح الكهربائية واشتعالها مجددًا. لكن أوس وجماعته ظلوا على وتيرة واحدة وبقوة واحدة حتى خفتت قوتها تدريجيًا، لكنها فجأة صارت تتردد في مكانها كصورة مرئية لبث مباشر يتقطع تردده، فصاح أوس وهو يقول:

- أحطها يا سليمان بالمجل الكهرومغناطيسي في الحال

فأخرج سليمان عصا صغيرة من حزام بنطاله، وضغط على زر بها؛ فخرج مجالاً كهرومغناطيسيًا كالسوط أحاط بأثير التي صرخت بكل قوتها ألمًا؛ فتردد من بين جنباتها طيفًا أسود يتردد كما هي

تتردد، لكن سريعًا ما انقطع المجال الكهرومغناطيسي وانفك قيدها
لتختفي بعدها وصدى صوتها يتردد صارخًا:

- إن لم تكن لي بإرادتك، ستكون لي رغبًا عنك، سأجعل أيامك
جحيم يا أوس

التهى الجميع بما حصل ولم ينتبهوا للفتاة الثانية التي فُك قيدها
وحاولت الاقتراب من أوس وصوت أثير يتردد من خلالها بخفوت
بكلمات غير مفهومه وقبل أن توسمه بوسم العشق، أوقفتها سيلا
بضربة قوية على جبهتها أوقعتها، نظرت لها بعينيها الفيروزتان
الواسعتان تهددها، ثم تلت آيات من القرآن الكريم وهي ترفع يدها
ناحية جبهت الفتاة، فتشنج جسدها لدقيقتين ثم هدأت واختفى صوت
أثير الذي كان يتردد على لسانها. كان طارق يتابع سيلا بتعجب
على تحولها الكبير من هالة اللين والهدوء والضعف التي كانت
تسيطر على ملامحها وحركاتها التي لاحظها إلى القوة الشرسة
التي ظهرت وهي تدافع عن أوس، لكنها نالت إعجابه في نفس
الوقت لأنها استطاعت الجمع بين النقيضين، أن تكون برقة فراشة
ولكنها قادرة على صنع إعصار! لاحظ أوس تعلق عيني طارق
بأخته سيلا؛ فأحاط بذراعه كتفيها، ثم نادى على طيبة؛ لتقترب هي
الأخرى وحاوطها بذراعه الأخرى وهو يقول وعينييه مثبتة على
طارق وكأنه يقول له "أزح عينك":

- سيلا وطيبة أختي

ابتسمت نائرة بود واتجهت إليهما وهي تمد يدها تقول:

- تشرفت بمعرفتكما، أنا نائرة

ابتسمتا بود متبادل ومدتا يديهما بالسلام ثم قالتا:

- أهلاً بكِ بيننا يا نائرة

ثم استطردت سيلا مرة أخرى:

- أوس كان يخبرنا عنكِ دوماً

توترت نائرة وهي تقول:

- أتمنى أن تكون أمور جيدة

فقالت طيبة بشغب:

- لا تقلقي من تلك الناحية

توترت نائرة أكثر؛ فأشارت على أخيها سامي لتحاول إخفاء وتبديد

ذلك التوتر وقالت:

- هذا أخي سامي، بالتأكيد أخبركم أوس عنه أيضاً

ابتسمت له سيلا وأجابت:

- بالتأكيد

وقالت طيبة ببرود تحاول أن تستجلبه:

- نعم ذكره، ولقد بحثت عنه بنفسى، إنه ملقب بين فئتنا بالقط
الأسود

ابتسم ببراعة وقال:

- يبدو إنك جيدة

فردت عليه باندفاع في طياته عنف:

- أنا ممتازة ولست أقل منك

فرجع حاجبيه مستغرباً طريقتها، ثم قال:

- أعرف بالفعل، لقد وجدتك وبحثت عنك أيضاً

فانتصبت طيبة في وقفها وهي تنظر لأخيها ثم إليه وقالت:

- كيف وصلت إليّ

- عن طريق هاتف أوس، لقد اخترقته

ثم نظر إلى أوس معذراً:

- آسف يا أوس، كنت أريد أن أتأكد قبل أن أقابلك

فأوماً أوس برأسه متقبلاً، ثم استطرد وهو ينظر إليها مرة أخرى
وقال:

- لقد استطعت اختراق برنامج الحماية، ثم ولجت إلى بيانات هاتفه ثم بيانات الأقربين منه، وبالتالي اخترقت هاتفك بعد أن فككت العديد من الشيفرات، أنتِ حقًا موهوبة نظرت له طيبة بصدمة، وأوس وسيلا إعجابًا بذكائه، وثائرة وطارق بالفخر، ثم قالت طيبة:

- كيف استطعت اختراق برنامج الحماية؟!
- لم أخترقه بسهولة، لقد حاولت وبذلت مجهود ليس بعادي حتى أخترقه

فنظر أوس لطيبة وهو يقول لها:

- ألم أخبرك بأنه موهوب

فصمتت طيبة بخيبة وهي ترى نفسها ليست بالقوة الكافية أو بالاحتراف المبتغى، فنشعر سامي بفتورها وكأنه ورده ما في خاطرها، فقال:

- اختراقي لبرنامج حماية طيبة لم يكن شيئًا سهلاً، والأمر ليس حكرًا عليّ أيضًا، هذا هو شعار مجالنا "المحاولة حتى تنجح"، وأراهن أنها تستطيع اختراق برنامج أعقد من هذا، كما أنا متأكد من أنها تستطيع عمل برنامج حماية أفضل في كل مرة تريد.. لقد سمعت عنك يا "كميت" كما هو لقبك بيننا

ظهرت بوادر بسمة خفية، وارتفاع في مستوى معنوياتها، ولكنها
أبت ألا تلين وترتخي، فقالت:

- أظن إننا سنستفيد من إمكانيتك.. مرحب بك هنا

ثم نظرت للجميع وقالت متعجلة الذهاب:

- سأذهب أنا الآن، لدي الكثير من الأعمال

وهي تقول في قرارة نفسها: "يجب أن أذهب وأعيد العمل على
برنامج الحماية، يجب أنا أفوز"

في نفس الحين نادهم عدي وهو يقول:

- تعالوا إلى هنا

فالتف الجميع حول الفتاة التي كانت تبكي بحرقة وتشهق بصوت
مسموع وهي تقول:

- أرجوكم أنقذوني من تلك الساحرة أثير، إنها تقتلني كل يوم
باستخدامها لي كدمية تفعل بي ما تشاء.. أرجوكم احبسوني
هنا ولا تخرجوني لها، أرجوكم افعلوا أي شيء لتخلصوني
منها

عكست طيبة ما بين حاجبيها وهي تقول بشك:

- ما الذي يجعلنا نصدقك؟

فقال كلاً من سيلا وثائرة في نفس الوقت بشفقة:

- إنها صادقة

فنظر لهما طارق وقلب نظره بينهما ثم ثبت نظره على سيلا التي تخطف أنظاره عندما تقع عينيه عليها. ونظرت لهما سما وقالت والدموع تغرق وجهها:

- شكرًا لكما

ثم رفعت شعرها المتدلي خلفها وقالت:

- على مؤخرة عنقي يوجد وسم لتعويذة وسمتني به أثير.. إنه وسم استحواذ

ثم استطردت مرة أخرى وهي تقول بألم:

- أثير تعتبر من أكبر السحرة في العالم رغم صغر سنها، لم أكن أعرف ما الذي تكون عليه إلا بعدما وسمتني، لم أعلم أن الفتاة التي كانت تريد صداقتي ساحرة وستضرنني يوماً ما

فسألتها طيبة بفضول:

- لماذا تسعى لمصادقتك ثم تؤذيكي بعدها؟

رفعت سما رأسها بحيرة وقالت:

- سألت نفسي كثيرًا هذا السؤال ولا أجد له إجابة.. لا أعلم
لماذا حقًا فعلت بي ذلك!

ثم صمتت؛ لينظر عُدي لأوس ويبادلله الأخير النظرات، ثم نظر
إليهم جميعًا وكأنه يأخذ مشورتهم بقراءة ما علق على وجوههم، ثم
قال أخيرًا:

- أنتِ هنا ستكونين بأمان يا سما، لا تقلقي

شكرته سما وشكرتهم جميعًا، ثم سألها عُدي عن الرجلان المقيدان،
فنظرت لهما بقرف وقالت:

- إنهما مبتدئان، كما إنهما بيدوفيليان قدران

ثم أشاحت بوجهها عنهما وخرجت معهم من المكان

(١٦)

دخلت ثائرة البيت الذي أعطاه لها أوس لتسكن فيه الفترة القادمة، ونظرت تتفحص المكان حولها بإعجاب ثم نظرت لأوس الذي كان يتابعها بعينيه، فتوترت وهي تقول:

- البيت جميل، شكرًا لكم يا أوس

اتسعت ابتسامته وقال وهو ينظر لها بهدوء ولين:

- الحمد لله أنه أعجبك

فلعنت ذلك الشعور الذي يجتاح قلبها يدمدمه، وتلك الرجفة التي تحتل جسدها، والتلعثم والتيه اللذان يلتصقان بها، ثم قالت وهي تحاول إخفاء كل هذا:

- سأريك بالغد المقال الذي سأنشره مع تسجيل الفيديو، فأنا

سأراجع اليوم

- سأكون دائمًا بانتظارك

وكانت تلك جملة أخرى أربكت عقلها، واستفزت طارق الذي يراقب كل شاردة وواردة بينهما، فقال وهو بات يدرك أن تلك الشرارة التي تلمع بينهما ستحرقه يومًا ما:

- حسنًا!، وأين سأبيت أنا؟

فنظر له أوس بلا مبالاة وهو يقول:

- ستنام مع عُدي

فقال بنفس الامبالاة:

- حسنًا هيا بنا!

ثم أخذه من ذراعه وخرج بدون أي مقدمات. خرج معه أوس ثم
نفض عنه يده بحدة، فنظر له طارق بنفاذ صبر وقال:

- لماذا تعاملني بتلك الطريقة؟!

فضيق أوس عينيه وقال:

- ربما أعاملك بنفس الطريقة.. أتتكر؟!

نظر طارق إلى عينيه مباشرةً وقال:

- لا أنكر، ولكن أتدري ما هو السبب؟

- أعتقد أنني أعرف

ثم نظرا إلى بعضهما البعض بصمت مطبق وتحدي؛ حتى قاطعهما
عُدي وهو يقول متعجبًا:

- ما الأمر؟!

فنظر له أوس أخيرًا وهو يقول:

- لا شيء

ثم ذهب بعدها من أمامهما وطارق ينظر له بشرود ملئ بالتحدي،
فناداه عُدي من شروده وهو يهزه ويقول:

- ما خطبك؟

ثم نظر عدي اتجاه أوس واستطرد وهو ينظر لطارق مرة أخرى:

- هل ضايقتك أوس؟!!

فنظر له طارق وهو يقول:

- ربما يضايقتني

- ربما لأنك لم تعرفه بعد، أوس معطاء إلى درجة إنه قد يفديك
بروحه إذا استلزم الأمر، يعتني بفريقه جيدًا، ولا يهمل
مشاعر الآخرين

ابتسم طارق غير مصدق الجملة الأخيرة وقال:

- قد أصدق كل هذا ولكني لا أصدق أنه لا يهمل مشاعر
الآخرين

فابتسم عُدي وهو يقول:

- يبدو إن هناك ما يضايقتك حقًا!.. لماذا لا تواجهه بما يضايقتك؟

فتنهذ بتعب وقال:

- ربما ليس لي حق

- !!!

فابتسم طارق متألماً وهو لا يستطيع البوح بما يعذب قلبه وقال:

- لن أستطيع أن أشرح لك شيئاً

- لا بأس، ولكن أعتقد إنك قد تغير رأيك فيما بعد طالما إنك لا

تستطيع مواجهته الآن

(١٧)

في الصباح الباكر طرق أوس باب بيت ثائرة وسامي، ففتح سامي ووقفت من خلفه ثائرة وعلى وجهيهما علامات القلق، فقال سامي وهو يفرك عينيه:

- ماذا هناك.. ما الخطب؟!!

فشعر أوس بالخجل على إزعاجهما وقال:

- أنا آسف على إزعاجكما!

- لا تأسف، ولكن هل حدث أمر ما؟

- ليس هناك شيء ولكن نحن هنا نستيقظ مبكرًا ففي البكور بركة، ولم أعتقد أنكما تتأخران في نومكما، أنا آسف!

فأسرعت ثائرة تقول له:

- لا تعتذر يا أوس، نحن كنا على وشك الإستيقاظ

فابتسم.. ثم قال سامي:

- تفضل بالدخول

- لا سأنتظركما في الحديقة

ثم استنطرد قبل أن يدخل:

- ارتديا ملابس رياضية فالיום مهرجان التسابق

بعد مضي أقل من نصف ساعة خرج سامي وهو يرتدي ملابس رياضية سوداء ومن خلفه ثائرة التي اختارت اللون الأزرق. خرجا ليجدا أوس تقف معه سيلا وفتاة أخرى طويلة القامة وممشوقة القوام، جمالها آخاذ، وقع نظر ثائرة عليها سريعًا ولم تترح لنظرتها الجامدة الباردة ناحيتها. ولكن ابتسمت لهما سيلا وهي تقول:

- صباح الخيرات

فابتسمت ثائرة بالمقابل وقالت ترد هي وأخيها:

- صباح النور يا سيلا

ثم نظرت إلى أوس الذي كان ينظر لها بإبتسامة رائعة عذبة؛ فتوردت وجنتاها دون إرادة منها وتوترت، وكان هذا يمتعته؛ فقال وهو يمنع إبتسامته من أن تتسع على ثغره والتي كانت تتسع بداخل صدره وكأنها ستكبر حتى تسع المحيط نفسه، ثم نظر إلى "سنداوة" التي تقف بجوارهما وتراقب تصرفاتهما بجمود وعجرفة يعرفها عنها:

- هذه سنداوة بشير حفيدة كبار عشيرتنا

حياها سامي بود؛ فحيته بلامبالاة، وذلك أفتّر من إقبال ثائرة عليها، واغتاظ أوس منها ومن طريقتها المنفرة واستعلائها الواضح، ولاحظ تردد ثائرة وفتورها في الإقبال عليها بعد تصرف سنداوة معها ومع أخيها فأشار لأخته ولسنداوة بأن يسبقا؛ فرفعت سنداوة حاجبها بغيظ واحتدت ملامحها أكثر، واشتعل الجو نارًا؛ لتتدخل سيلا سريعًا وتطفئ تلك النيران بجر سنداوة من يدها وهي تقول:

- تعالي أريد أن أخبرك أمرًا

ابتعد كلاهما ليقول سامي:

- يبدو أن الأنسة سنداوة لا تطيقنا

فشعر أوس بالخجل من تصرف سنداوة وقال:

- أنا آسف لهذا التصرف الذي طرأ منها

فابتسمت ثائرة بلطف وقالت:

- ليس هناك ما تعتذر عنه يا أوس، هذا ليس ذنبك أو قصدك

فابتسم هو الآخر للطفها، ثم أخرجت هاتفها المحمول وقالت وهي

تناوله إياه لتريه مقالها:

- ها هو المقال، اقرأه وأخبرني بتعليقاتك عليه

أخذه أوس منها والفضول يأكله لقراءة كلماتها، فتناولت عينيه كلماتها بلهفة وشغف وهو يتمشى بجانبها حتى وصلوا إلى صالتي التدريبات الكبيرة الخاصة بالنساء والرجال؛ ثم وقف قليلاً ليقول بعدها:

- رائع، أنتِ تملكين موهبة والدك!، كلماتك واضحة ولامعة تجذب انتباه القارئ من بداية المقال، كما أرى أنك لا تتركين سؤالاً إلا وطرحته وأجبتني عليه بأدلة وبراهين، أنتِ حقاً ماهرة كوالدك رحمه الله

ابتسمت نائرة وهي تنظر لأخيها الذي بجانبها وهو يبادلها الابتسام بفخر لاقتارنها مع والدها، ثم نظرت لأوس وقالت:

- شكراً لك

ثم استطردت:

- سيقوم سامي بتنزيله اليوم بإذن الله

- حسناً، ليبدأ بعد انتهاء المهرجان

ثم اصطحب أوس سامي معه ودخل الصالة الكبيرة الخاصة بالرجال، ودخلت نائرة الصالة الأخرى التي ما أن رأتها حتى علا الانبهار معالم وجهها وهي ترى الصالة تمتلئ بكافة الألعاب

الرياضية وكل رياضة لها قسم وحيز من الصالة. اقتربت منها
سيلا وطيبة لتقول الأولى:

- لماذا تأخرتي لقد انتظرتك هنا طويلا حتى لا تكوني وحدك؟

- كنت أُطلع أوس على مقالي

فسألتها طيبة:

- من سيقوم بتحميله مع الفيديو المسجل

ابتسمت نائرة وهي مدركة لروحها التنافسية، وغيرها المحمودة ثم
قالت:

- أيكما!.. سامي أو أنتِ

فابتسمت طيبة هي الأخرى وهي تتنهد براحة لأنه لم يتم استبدالها،
ثم قالت لها:

- في أي مسابقة ستشاركين؟

نظرت فيما حولها ثم قالت:

- في الذي أبرع فيه.. سأشارك في المسابقات القتالية وكذلك
مسابقة العدو

فتحمست طيبة وقالت:

- تشبهيني يا نائرة، أنا كذلك سأشارك في تلك المسابقات

- إذن لا تتساهلي معي إذا تواجها

فابتسمت طيبة بمرح وهي تقول:

- لا تقلقي من تلك الناحية، وأتمنى لك التوفيق

- أنا أيضاً يا عزيزتي

ثم نظرت لسيلا وقالت:

- في أي مسابقة ستشاركين يا سيلا؟

نظرت سيلا تختار هذه المرة بملل وقالت:

- أنا ماهرة بالرماية فقط ولا أهوى الرياضة كثيراً غير تلك

العادية

- غريباً، فأنتم جميعاً كعشيرة يظهر عليكم حكم للرياضة

والقوة

- أنا مختلفة قليلاً، فكل اهتمامي يكون عن الكتب والدراسة

فقال طيبة وهي تضحك:

- أختي غريبة الأطوار، إنها موسوعة معلومات تمشي على

الأرض، لا أعلم كيف تحشر كل تلك المعلومات برأسها

- حسناً، اسكتي قليلاً يا مهووسة الآلات

ظلتا تتناقران وثائرة تحاول الفصل بينهما وهي لا تتمالك نفسها من الضحك؛ حتى وقفت سنداوة فجأة أمامهم وهي تنظر لثائرة بتحدي وتقول:

- أرى أنكِ تحاولين الاختلاط بنا، ولكنكِ لن تستطيعي
مجاتنا، لأنكِ لست من دماننا النقية

فوقفت طيبة أمامها بغضب، فاستطردت وهي تنظر لها ببرود
قائلة:

- اهدأي قليلاً يا طيبة سنتقاتل الآن فلا تتعجلي الهجوم

فقال سيلا برزانة:

- سنداوة لا تكوني وقحة!.. الوقاحة ليست من شيماننا؛ هذا إن
كنتِ نقية الدم كما تقولين

فازداد انفعال سنداوة وسخطها أكثر، ثم تركتهم ورحلت، فنظرت
سيلا لثائرة وهي تقول لها:

- لا تلقي لها بالاً يا ثائرة

- كيف لا أُلقي لها بالاً وأنا أشعر من طريقتها أنني ليس مرحب

بي هنا

فقال طيبة مندفعة بثقة:

- كلنا هنا مرحبين بكِ يا ثائرة، وسامي أيضاً مرحب به، أنا أعرف لم تعاملك سنداوة بتلك الطريقة
- إذن لماذا تعاملني هكذا وكأنني سرقت منها شيئاً؟! فابتسمت طيبة بخبث العارف ولا أحد غيره يعرف وقالت:
- أنتِ بالفعل سرقتِ منها شيئاً كانت تطمح لامتلاكه عكست ثائرة ما بين حاجبيها بتعجب وعدم فهم:
- وما الذي سرقته منها وأنا لم أرها إلا اليوم؟ ضحكت طيبة ومعها سيلا؛ لتنظر لهما بنفاز صبر، فاستطردت طيبة:
- هذا الأمر سر، ولكنك ستكتشفيه وحدك قريباً
- !!!
- وقبل أن تعلق على كلماتها؛ انطلقت الصفارات في مكبرات الصوت معلنة عن قرب انتهاء مدة التسجيل في المسابقات، لتسحبها طيبة من يدها وهي تقول لها في لهفة:
- يجب أن نسجل الآن قبل انتهاء التسجيل
- انتهت الفتيات من التسجيل في المسابقات التي اختاروها، ثم وقفت كلاً من طيبة وثائرة يتابعون سيلا في أول مسابقة أقيمت.

وقفت الفتيات المتسابقات في مسابقة الرماية صفًا يمكن أقواسًا وجعبة أسهم على ظهورهن ومن أمامهن وقفت الأهداف، ومع الطلقة بعد التأهب والاستعداد أطلقت الفتيات أسهمهن على الأهداف، ثم قيست الأهداف وأعلنت اللجنة الفتيات المحرزات أعلى النقاط وكانت من بينهن سيلا وسنداوة. نظرت ثائرة لسنداوة التي تنظر لها بإستهانة، ثم قالت طيبة التي تتابع تلك النظرات:

- لا أريد أنا أحبطك لكن يجب أن تحذري منها عندما تواجهيها في القتال، سنداوة أقوانا وتتميز بالخفة والسرعة، إنها حقًا اسم على مسمى؛ فاسمها يعني الذئبة السريعة التي تتميز بمهارة مطاردة الفرائس.. أنا لم أستطع هزيمتها حتى الآن نظرت لها ثائرة بتفكير ثم نظرت أمامها وهي تعيد تكرار لقب سنداوة الذئبة في رأسها وتفكر في أمر تلك العشييرة، ثم نظرت إليها مرة أخرى وسألتها:

- كم هو عمرك؟.. تبدين في عمر سامي

فضيقت طيبة عيناها وهي لا تستطيع ربط ما تقوله بسؤالها، ولكنها أجابت:

- أنا الأسبوع الفائت بلغت ثمانية عشر عامًا

فابتسمت بلطف وود وقالت:

- أنت أكبر من سامي بعام واحد فقط.. وسنداوة تبدو أكبر منك
- نعم، فهي بعمر سيلا وأوس

تفاجأت نائرة وقالت:

- هل أوس وسيلان توأمان؟
 - نعم، لكنهما غير متماثلان؛ إلا أنهما متفاهمان لأبعد حد
- أطالت نائرة النظر إليها بإعجاب ممزوج بمحبة أخوية، والأخرى تنظر إليها بتسائل عن نظراتها تلك، لتقول:

- إذن أنت هنا أقوانا وأكثرنا تميزاً يا طيبة، بعمرك هذا وتستطيعين الفوز على من هم أكبر منك ومواجهة الأقوى..
- كما أنك تقراين وجوه الناس وهذه سمات الذكاء وسرعة البديهة، أنت حقاً مذهلة!، اخرجي فكرة أن هناك أقوى منك
- ويوماً ما سنتغلبين على سنداوة وغيرها

وسعت عيني طيبة واحمرت وجنتيها لإطراءها الذي أدخل السرور على قلبها، فقالت:

- شكراً لك يا نائرة، لا تدريين ماذا فعلت كلماتك تلك بداخلي..
- كنت بحاجة لها كثيراً

فابتسمت نائرة ثم حاوطة كتفيها بذراعها واحتضنتها وهي تشعر بداخلها أن تلك الفتاة إلى حد ما تشبها، ثم قالت:

- لا تقلقي عليّ من سنداوة فأنا لا أخاف منها وربما أغلبها
- إن فعلتِ ذلكِ يا ثائرة ستكسبين انتباه الجميع إليكِ
وستصبحين واحدة منا ولستِ صديقة زائرة فقط، ولن
تعرض لكِ سنداوة طريق بعد الآن

ارتفعت وتيرة حماس ثائرة ونظرت أمامها مرة أخرى واللجنة
تعلن عن اسمي سيلا وسنداوة في النهائيات. وفي الجهة الأخرى
كان أوس وطارق يتنازعون على سامي وكأنه لعبتهم الظريفة،
الأول يريد منه أن يشارك معه في سباق ما والآخر يريد أن
يتشارك معه في سباق آخر؛ فصرخ سامي الذي يقف بينهما
وبجانبه عُدي وهو يقول:

- كفى!، سأشارك في سباق العدو

فانتبه له الاثنان، ثم استطرد:

- وأرجوكما لا تتشاجران، سأشارك بالعدو وانتهى الأمر

ثم نظر لعُدي وطلب منه بهمس يشوبه الرجاء:

- أرجوك لا تدعني أمامهما وخذني معك إلى أي مكان!

فابتسم عُدي وقال:

- لا تقلق، سأخلصك من هذا المأزق

فنادى عُدي على كلاهما، ثم قال:

- سأخذ سامي معي لأريه المكان

فقال طارق مسرعًا:

- لا!، لا أريده أن يتعرض للأذى

فابتسم أوس ببلاهة وهو يقول باستهزاء:

- لقد أحضرتكم إلى هنا للحماية الخاصة، فكيف سيتعرض

للخطر هنا.. اشرح لي!

تنهد طارق مختصرًا:

- نحن هنا غرباء، لا يعرفنا أحد ويبدو أنكم مختلفون عنا أيضًا

- الجميع هنا يعلمون أنكم هنا معنا، وحتى إن لم يعرفوا؛ لا أحد

يدخل هنا بسهولة حتى يُطلق عليه دخیل.. ولكن دعني أسألك

سؤالاً.. كيف نختلف عنكم بالضبط؟!!

- ألا ترى كيف أنتم حقًا؟!.. جميعكم رياضيون وكانكم تدخلون

الألومبياد كل يوم، أجسادكم قوية وتملؤها العضلات وكانكم

تماثيل رومانية منحوتة بعناية، متماسكون وكانكم منظمة ما..

بكم شيء غريب يجعلني أشعر بأنكم مختلفون

فنظر له أوس وقال بقوة:

- نعم نحن مختلفون!.. لكن أتعلم لماذا؟.. لأننا تربينا ونحن لا نحشر أدمغتنا بتخاريف التلفاز المُصدرة لنا بشاشات سوداء خفية تمتلئ بالقاذورات الفكرية.. قام أجدادي بحماية أبائنا وأبائنا قاموا بالمثل ونحن من بعدهم إن شاء الله.. نحن نهتم بالرياضة كما نصح سيدنا محمد عندما قال: "علموا أولادكم ركوب الخيل والسباحة والرماية"، نحن نهتم بالعلم وننميه، نحن نهتم بدوينا وعشيرتنا، نحن كالذئاب نتعاون كقطيع واحد ونهتم بشؤؤون الكبار إذا كبروا، نحن لا نطعن ظهور بعضنا البعض، عشيرتنا مجتمع يختلف عن المجتمع الذي بخارج هذه الأسوار.. لهذا ينتابك هذا الشعور

بُهِت طارق مما قاله أوس، بل ووافقه في روحه، وفكر بأنه ربما هذا المجتمع غريب لأنه احتفى مما ابتليت به باقي المجتمعات، فليس كل ما ساد جيد وليس كل ما قل سيء، ثم استطرد أوس:

- ولكني أعلم لماذا أنت متحامل علي إلى هذا الحد الذي لا ترى فيه عشيرتي كما يجب أن تراها

فنظر طارق إلى عينيه، ليقول أوس مرة أخرى:

- وتحاملك هذا يجعلك أحرق في عيني أكثر

ثم تركه وذهب، ليشعر طارق بالتعب والإجهاد؛ فوضع يده على قلبه وقال في نفسه: " تتحكم في وتجعلني ثورًا هائجًا لا يرى ولا يسمع، علي أن أطلق سراح نفسي منك يا قلبي "

وقفت نائرة أمام سنداوة في ساحة القتال؛ تنظر لها الأخيرة شرزًا فتقابلها نائرة بنظرة مليئة بالتصميم على الانتصار. في البداية هاجمتها سنداوة بضراوة ولكن نائرة تحملت وتماسكت أمام عنفها وقوة ضرباتها، واستمرت على ذلك المنوال حتى نُهكت سنداوة وهي تتعجب من نائرة التي ظلت طوال الوقت تدافع ولا تهاجم، ومن قدرتها على استكمال النزال بيدها شبه المكسورة دون أن تنهار من التعب، وما بين تفكيرها وتشتتها بتصرف نائرة، فاجأتها نائرة وهاجمتها لأول مرة؛ لتقع سنداوة من بعدها على الأرض مُتعبة ومُنهكة القوة. ولم تكن تلك لحظة عادية؛ فأن تقع سنداوة مهزومة لم يكن أمرًا متوقعًا. فصرخت سيلا وطيبة بفرحة لفوز نائرة المدهش، وصفق الجميع وهم يثنون على قوة تحملها وتكتيكها القتالي، ثم اقتربت كلا من سيلا وطيبة من نائرة بسعادة ولهفة وهم يهنوننها، واحتضنتها طيبة بفخر؛ فتآوت نائرة من شدة الألم، فأشفقا عليها، وربتت طيبة بحنان على كتفها وهي تقول:

- لا تقلقي سنعالجها سريعًا، فعشيرتنا بها أمهر الأطباء

فأومأت لها نائرة بامتنان، وما بين الدهشة والفرح والمرح تعالى جرس ساعة سيلا التي في يدها، لتتنظر لها بفرح وهي تقول:

- تلك الفتاة في خطر ما

فسألتها ثائرة وهي تهرع خلفها بقلق:

- هل يوجد أحد معها

- نعم، سهيل هو الذي يحرس الغرفة التي تببت فيها

اتصلت طيبة بأوس سريعًا، لتقول له:

- هناك خطب ما عند "سما" الفتاة التي كانت مع أثير

- حسنًا، اقلبي الآن واحذري أنتِ وسيلا وثائرة

- لا تقلق يا أخي

ثم أغلق الهاتف ليقوم بالاتصال بعدي الذي أجاب وهو يقول:

- ما الأمر يا صديقي؟!!

- هناك خطب ما طرأ على الفتاة التي تسمى سما، اعطني

بسلامة سامي، واتصل بطارق وحذره

- أليس معك؟

- لا، افترقنا

- حسنًا لا تقلق

ثم خرج أوس مسرعًا متجهًا إلى المكان الذي توجد فيه سما.

وفي ذلك الحين، كانت سما تتلوى وهي تقاوم استحواذ أثير عليها

وهي تصرخ بأعلى ما تملك من قوة، في محاولة دخول سهيل

المتكررة للباب الذي أغلق عليها بقوة؛ فرمى المفتاح الإلكتروني وضرب الجهاز الموجود على الحائط ثم ضرب الباب بكتفه، حتى انكسر وانفتح أخيرًا؛ ليجد سما مثبتة بالحائط الذي أمامه وأصوات غليظة ومختلفة تصدر من حنجرتها، وعيناها تتردد عليها غشاوة بيضاء، لكنها نظرت ناحيته وهي تقاوم فعاتت عيناها الطبيعية مرة أخرى وهي تذرف دمعة حارة جرت سريعًا على وجنتها وهي تقول بتعب:

- إنها تستخدم شياطين أقوى هذه المرة

ثم فجأة تحولت مرة أخرى وقفزت ناحيته تهاجمه للخروج من خلفه، فأمسك بها وحال بينها -بين الكائن الذي يستحوذ عليها- وبين الباب يمنعها من الخروج وهو يقول بدون خوف:

- اتركها يا ملعون، اتركها أيتها المختلة فلن يكون أوس لك أبدًا

فرددت أثير تلك المرة من بين تلك الأصوات وهي تصرخ:

- اسكت أيها الأحمق

ثم تغيرت ملامح وجهها لصورة أبشع مما كانت عليه منذ قليل وتغير صوتها الذي كان أقرب للزأر ثم عضته من كتفه؛ فأنفلتت منه وهي تركض للخارج.

شاهدتها كل من سيلا وثائرة وطيبة وهي تركض؛ فركضن خلفها
وأول من اقترب منها كانت سيلا بعد أن منعت الأخریتان من التقدم
معها وهي تقول بحزم:

- الأمر مختلف هذه المرة

فأبت طيبة وهي تقول:

- لن أتركك وحدك، لقد تدربت على طرد الشياطين

فصاحت بها سيلا بنفاذ صبر:

- ليس هذ المرة، اذهبي نادي شيوخ القبيلة

فشعرت طيبة بأن الأمر أكبر مما ترى؛ فذهبت على الفور، ثم
نظرت سيلا لثائرة وقالت:

- أرجوكِ يا ثائرة لا تتوري وتتهوري، أرجوكِ، فأنا أحاول
السيطرة على الوضع

فأومات ثائرة، ثم نظرنا للفتاة الواقعة التي تغيرت تصرفاتها
وهيئتها فصارت أقرب للمخابيل التي توحشت.. واقتربت منهما
أكثر ثم أكثر وهي تقول بصوت أثير الذي كان يشوبه فحيح وبعض
الغلظة:

- أهلاً بالفرائس التي سأوقع بها أوس لأنتقم منه

- كل هذا لأن أوس رفضك

فقال وكأنها تفكر:

- اممم!، ربما، ولكن أريد أكثر من هذا، أريدكم جميعًا الآن،

فبقتلكم سأحصل على هدية من نوع خاص، كما أنكم هنا

تخبئون كنوز تهمننا يا فريستي

افتعلت سيلا وقالت وهي تهجم عليها بسلاح فضي أخرجته من

جيب بجانبها الأيمن:

- لن تفلحي مهما أوتيتي يا قبيحة القلب والعقل

فهاجمتها هي الأخرى وكسرت سلاحها بيد عزلاء، ثم رفعت يدها

الأخرى التي استطالت أناملها وأظافرها وكادت أن تغرزها بقلب

سيلا لولا وقوف طارق أمامها يفتديها وهو يصرخ بقوة وشجاعة

لم يعهد لها في نفسه من قبل- ربما لأنه لم يوضع في موقف مثل هذا

من قبل-، وبصلابة قلب أخذ يتلو آيات من القرآن وهو ينظر

بعينيها، لتتداعى بعدها قوة المستحوذ وتصيح سما تارة بصوتها

وتارة بصوت أثير وتارة أخرى بأصوات خشنة أجشة مقعرة.

وقفت سيلا تحتمي بظهر طارق بعد أن تملكها الرعب منذ ثواني

معدودة، وكل هذا كان على مرأى أوس وعدي وسامي وشيوخ

القبيلة الذين وصلوا مع طيبة، فانبهر الجميع بما فعله طارق، ثم

اقترب منه أوس وقال وعلى وجهه علامات المفاجأة والامتنان
كذلك:

- شكرًا لك يا طارق، لقد أنقذت سيلا دون أن تشعر بأبي
تقاعس أو خوف

وقال أحد الشيوخ والذي يظهر أنه أكبرهم من خلف أوس:

- إنه يمتلك قلب صلب نقي

فأوسع له أوس باحترام؛ ليقول الشيخ مرة أخرى لطارق:

- ما هو اسمك يا بني؟

- اسمي طارق بن زياد

فظهرت سيلا من خلفه وهي تنظر له بانبهار وكأنها تراه لأول
مرة، ليقول أوس مازحًا بود:

- فاتح الأندلس!

فابتسم طارق له لأول مرة وقال:

- لا بل طارق بن زياد (جونيور)!

فضحك الجميع، ثم نظروا إلى سما المغشي عليها على الأرض،
والنساء يحاولن حملها، وسهيل الذي كان يجثو بجانبها على ركبتيه

بشفقة ممسكًا بكتفه المعضوذة والدماء تسيل منها دون أن يعي لها، فقال له أحد الشيوخ:

- اغسل هذا الجرح يا بني وعالجه بسرعة، قد تتسمم

فنظر لهم سهيل وأوماً بالإيجاب، ليقول له أوس:

- لا تلقي باللوم على نفسك يا سهيل، فلا تغضب

- أنا لست غاضب، أنا أشفق عليها

ثم نظر إليها مرة أخرى واستطرد:

- لقد بكت قبل أن تهرب من بين يدي وهي تقول لي بحسرة

والم "أنهم أقوى من ذي قبل"

فنظرت له سيلا بتمعن ثم إلى الوسم الذي تظهر أطرافه من على مؤخرة رأسها، وقالت:

- سأقوم بمحو ذلك الوسم بإذن الله

فقال أحد الشيوخ:

- أعتقد أن طارق سيكون عونًا كبيرًا لنا يا سيلا

فنظرت له، وعندما تلاقت أعينهما أخفضت بصرها بسرعة وهي تقول:

- بالتأكيد.. إذا كان يريد

فقال بثقة:

- بالطبع أريد

فنظرت للشيخ الكبار ولأخيها ثم قالت:

- حسنًا، سأذهب الآن للبحث عن أي معلومة قد تفيدنا

فأذنوا لها، لتتركهم وهي تتنفس بسعادة، متجهة إلى أكثر مكان
يشعرها بأنها بخير وعلى طبيعتها.

في غرفة كبيرة مقسمة لحجرات زجاجية تفصلها ممرات بداخل المنشأة التي تقبع تحت أرض عشيرة أوس؛ جلست طيبة وهي تضع جوائزها التي نالتها اليوم في المسابقات التي شاركت فيها، في حين كان سامي ينظر لها بحسرة وهو يتذكر مشاركته البائسة والتي لم ينل فيها إلا هدر كرامته أمام نفسه وأمام المتسابقين والجمهور، فهو لم يفز حتى بالمركز الأخير. فنظرت إليه وهي تقول بخبث:

- في أي مسابقة شاركت؟

فكر سامي أن يكذب عليها ولكنه خشى أن يكشف خاصةً أن حبال الكذب قصيرة ومهلكة، فقال دون أن يوضح:

- شاركت بالعدو

فقالت وهي ترفع حاجبيها واضعة ذقنها على ظهر كفها:

- حقًا!.. أنا أيضًا شاركت بالعدو وأخذت المركز الثاني

ثم استطرقت بعد دقيقة صمت:

- علام حصلت؟!!

شحب وجهه عندما شعر بأنه لن يستطيع الهرب من هدر ماء وجه أمامها عندما تعرف أنه لم يحقق أي شيء إلا صفرًا كبيرًا مهولاً، ثم طال صمته، لتقول له مرة أخرى تحته على الكلام:

- ها .. ماذا أحرزت؟

فتصعب عرفًا، واهتزت رجليه من التوتر، كما تهيأ له سماع غليان الماء الذي يجعل البراد يصدر صفيرًا على الموقد؛ حتى أنقذه صوت مشابه من الجهاز الذي أمامهما، فقال متملصًا منها:

- يبدو أن خطتك في تحميل الفيديو بشكل أسرع قد لاقت مفعولاً

فنظرت طيبة إلى الجهاز بلهفة تمنى سامي على أثرها أن تنسى سؤاله مرة أخرى.. ثم ابتسمت وهي تقوم من مكانها وتتنظر لشاب آخر بشعر أحمر وهي تعطي له إشارة بإبهامها، ثم جلست مرة أخرى ليسألها:

- من هذا الشاب؟

- هذا صهيب، وهو الذي سيقوم بزيادة التفاعلات والتعليقات على مواقع السوشيال ميديا.. بمعنى أصح هو الذي سيجعل من النار بركان

فابتسم سامي وقال:

- تبدو أجندة مخطط لها جيدًا

- بالفعل، ولكنها أجنحة خيرة

(٢٠)

في بقعة أخرى في نفس المكان كانت سيلا تقف بين أرفف المكتبة الضخمة وهي تمسك كتابًا ضخماً يبدو عليه القدم من وريقاته الصفراء العتيقة، كانت تقرأ باهتمام بالغ ولم تشعر بأي أحد يقترب منها، حتى بدأت ترى ظل يد تمتد من خلفها؛ فتراجعت وهي تصرخ بفزع أنثوي مضحك وقفزت للخلف وهي تحتضن الكتاب على صدرها بطريقة مضحكة؛ فضحك طارق ولم يتمالك نفسه، ولكن عندما رآها غاضبة وقد تجاذب حاجبيها بامتعاض؛ قال معتذراً:

- آسف!، ولكن لم أستطع تمالك نفسي أمامك هينتك الظريفة
المضحكة تلك

فلانت ملامحها قليلاً، ثم استطرد مدافعاً عن نفسه:

- لقد ناديت عليك كثيراً ولكنك لم تجيبي.. أظنك منشغلة!،
أعتذر على إزعاجك

- أنا منشغلة بالفعل ولكنك لم تزعجني أبداً.. وأعتذر عن عدم
الرد عليك سريعاً فأنا لم أقصد ذلك؛ لأنني عندما أقرأ أنسى
كل ما حولي ولا أراه

فابتسم طارق وقال:

- هكذا أنا أيضًا عندما أقرأ

ثم دارت بينهما لحظة صمت كانت هي تنظر لقدميها وتنقر بهما على الأرض بخفوت وخفة، وهو ظل ينظر حوله مبتسمًا برقة وكأنه فراشة وديعة، حتى بدأ الكلام مرة أخرى وقال:

- أنا أحب الكتب أيضًا.. ولقد بهرتني هذه المكتبة عندما دخلت هذا المكان

ثم نظر إليها وقال:

- هل يمكنني أن أسألك عن ماذا كنتِ تقرأين؟

- بالطبع.. كنت أقرأ في كتاب قديم عن وصفة أو أي شيء يُسهل علينا محو الوسم من على سما

فعكس طارق ما بين حاجبيه بقلق وسأل مستفسرًا:

- بالسحر؟

فأجابت سيلا بسرعة وهي تنكر تلك التهمة البشعة:

- بالطبع لا!!!.. استخدام السحر حرام في ديننا، والإستعانة به وبالجان كفر وشرك.. لأننا نستعين بالله وبكتابه وبما شرعه علينا ولا غير هذا

فاستنارت جبهته وارتاح من ردها، ثم سألها مرة أخرى:

- إذن ماهية الذي تقرأينه؟!
- أنا أقرأ في الطب النبوي، وخاصة في العلاج من الأسحار
- هل تسمحين بمساعدتي لك بدءًا من الغد؟
- بالتأكيد وسيسرني ذلك

خرج طارق وعلى ثغره ابتسامة تملأ شذقيه؛ فقابله عدي قائلاً:

- يبدو أنك سعيد

فانتبه له طارق، وانتبه لابتسامته والشعور اللذيذ الذي يدغدغ القلب بعد أن ينال رغبته؛ فتبدلت ملامحه وهو يقول في قرارة نفسه: "كم أنت خسيس!، تبتسم بعد أن استمتعت بالحديث معها.. كيف تكون رجلاً يؤتمن وأنت تستحل ما استأمنك عليه هؤلاء الناس بعد دخولك بينهم.. اضبط نفسك"

فهزه عدي وهو يناديه:

- طارق.. ما الذي حدث لك؟

فنظر له طارق وقال بخفوت:

- لا شيء

- متأكد من هذا!.. لقد كنت تبتسم منذ قليل ثم عبست فجأة وشردت

- لا تقلق، لقد كنت أفكر في أمر قد طلبته منه أمي قبل أن أرجع إلى البيت وكدت أن أنساه

فضحك عدي وقال وهو يضع يده على كتفه:

- يبدو أن والدتك تشبه والدتي، إن نسيت لها طلب أشعر
وكأنني ذاهب لألاقي حتفي

فابتسم طارق بخفوت، ثم سأله مرة أخرى:

- هل سترحل الآن؟

- نعم

- وهل ستأتي في الغد

- بالطبع، أود أن أشارككم في التخلص من تلك المشكلة التي
تفتت في وطننا

فابتسم له عدي بود وقال:

- يسرني ويسرنا جميعًا مشاركتك لنا يا طارق

ابتسم له طارق بود متبادل وهو يربت على كتفه امتنانًا له:

- شكرًا لك يا صديقي

- إذا هيا بنا لأوصلك يا صديقي، ولكن اعذرني سأذهب لأوس
أولاً لأعطيه شيئًا ثم سنرحل سويًا

- حسنًا لا بأس بذلك

كان أوس في تلك الأثناء يجلس مع ثائرة أمام شاشة الحاسوب
المحمول، يتابعان ما يدور حول الفيديو المُحمل على الشبكة
العنكبوتية، من رأي الناس حول الموضوع وكيف سيكون رد فعلهم

وتصرفهم.. وقد كان ما أرادوه، لقد هاجت الناس وماجت وتوغل القلق أكثر بصدورهم وارتابوا من معرفة هكذا أمور تحدث بينهم؛ فلقد جاء الخبر مع الفيديو ليفتح لهم أعينهم بقوة مؤلمة على حقيقة مخيفة.. قالت ثائرة:

- يبدو أن المرحلة الأولى قد تمت بنجاح.. لكن عندي لك سؤال
يا أوس

- ما هو؟!!

- كان بإمكانك نشر فيديو مماثل وكتابة أي شيء يهيج الرأي العام كما الآن.. لماذا تركتني أفعل أنا هذا الأمر بالرغم من مقدرتكم؟

ابتسم أوس وقال:

- ربما لأنني رأيت أن هذا دورك أيضًا، لقد خاطرتِ بنفسك وأخيك للوصول إلى مكان الأطفال، لقد قام ثلاثتكم ما لا يستطيع فريق عمل فعله باحتراف، ولقد جنتم متجهزين لهذا الأمر

فابتسمت بالمقابل وقالت:

- أنتم تمتلكون أخلاق عالية يا أوس وقوانين تُشعرنني بأنها قوانين للذئاب.. فالذئاب هي وحدها من الحيوانات التي لا تعتدي على مناطق قطيع آخر، منظمون سواء في طريقة

حياتهم أو في تقسيمهم لأدوارهم مثلكم تمامًا.. وكما تساهم
الذئاب في الحفاظ على النظام البيئي؛ أنتم أيضًا تقومون
بالحفاظ على أرواح الناس البريئة ومطاردة الشر
فصمت وهو ينظر لها بتمعن، لتستطرد سائلة بجديّة:

- هل أنتم ذئاب؟!

حك أوس ذقنه مبتسمًا ابتسامة خافتة وقبل أن يهم بالرد جاءهما
صوت عُدي يناديه وبجانبه طارق الذي كان ينظر إليهما وهو يقول
في قرارة نفسه بألم: "ربما لن أكون الشخص الذي تنظرين إليه
هكذا يا ثائرة يومًا ما". اقترب كلاً من أوس وعُدي من بعضهما
البعض، واقتربت ثائرة من طارق هي الأخرى أمام عيني أوس
الفضولية، لتقول:

- هل أنت ذاهب الآن يا طارق؟

- نعم

- ما رأيك بهذا المكان الآن؟

- هذا المكان رائع، وكل الموجودون هنا جديرون بالثقة أيضًا

- الحمد لله أن نظرتك قد تغيرت عنهم..ولكن قل لي كيف

استطعت التغلب على ذلك الشيء الذي يستحوذ على سما؟!!

- لا أعرف!، ولكن شعرت بأنه يجب على فعل شيء ما، ولم أشعر بالخوف وقتها، وكان كل ما بي يقول إنني سأهزمه بإذن الله

- لقد أنقذت الموقف حقًا

فابتسم لتبتسم هي بالمقابل. وعلى رؤية هذا تقدم منهما أوس وعُدي عندما انتهيا من الحديث، وكانت على ملامح الأول نظرة مختلفة لاحظها كلاً من طارق وثائرة؛ فابتسم طارق بخبت واحتارت فيها ثائرة، ثم قال أوس بحدة:

- يبدو أنك ستذهب الآن يا طارق!

ابتسم طارق أكثر وهو يقول:

- نعم!

- حسنًا.. مع السلامة

- الله يسلمك

ثم نظر لثائرة وابتسم بسماجة ليُغضب أوس أكثر، وقال:

- تعرفين كيف تصلين إليّ إن احتجتني إليّ

فردت ثائرة:

- لا تفلق!

ثم أعطى ظهره لهما ورحل مع عُدي وعلى وجهه ابتسامة كبيرة راضية متشفية، ثم أترف هامسًا لنفسه : "لم تكوني يومًا لي يا ثائرة"؛ فشعر أخيرًا بالراحة والرضا.

التفت أوس لثائرة ونظر لها بتمعن، فنظرت له هي الأخرى بتوتر وقالت:

- ما الأمر؟!

فأشاح بنظره عنها وهو يقول باقتضاب:

- لا شيء

لم تبتلع ثائرة إجابته ولكنها تغاضت سريعًا وهي تحته على الحديث:

- هل كان عُدي يخبرك عن عاصم؟

- نعم

- وهل أمسكتم به؟

- نعم!، ولكن أمسكنا به ميثًا للأسف.. لقد تخلصوا منه بسرعة

لم أتخيلها أن تحدث

- وماذا أنتم بفاعلين الآن؟

- سأقوم أنا وفريقي بتمشيط المناطق التي تعج بالخاطفين
المحتملين وكذلك سنمشط المناطق التي يكثر فيها خطف
الأطفال على قدر الإمكان

- يبدو أن أمامكم الكثير من العمل

- يبدو ذلك

- أنا قررت الذهاب للعمل مرة أخرى

فالتفت لها أوس بحدة وقال بغضب مكتوم:

- وهل طارق هو من اقترح هذا الاقتراح الغير مرغوب فيه

تعجبت نائرة من حدته ولكنها تعجبت أكثر من عدم ثورانها
الفوري، وهدوئها الذي سيطر عليها وهي تجيبه قائلة:

- لا!، طارق لم يقترح علىّ أي شيء، أنا التي أريد الخروج
للعمل

نظر لها بثبات بحدته الغير مبررة:

- لا.. لا يمكنني تعريضك للخطر، أنتِ معروفة بمهاجمتك
لأولئك الناس، فمقالاتك تلقى رواجًا، والمقال الأخير مع
الفيديو قد اكتسب صوتًا عاليًا وفتح عيونهم عليك أكثر مما
ينبغي

- لكنني هكذا لن أستطيع المشاركة في حل قضيتنا، يجب أن أخرج حتى أبحث بطريقتي للوصول لأسماء أفراد تلك العصابة التي تتاجر بالأطفال أو عن أي معلومات توصلنا بأي طرف جديد

- ألم تسمعي ما قلته للتو!..فكرة العمل نفسها ليست محببة في هذا الوقت وأنتِ تخبريني إنك تودين الخروج للعمل على القضية بطريقتك!

ثارت ثائرتها عندما شعرت بتهكمه عليها وقالت:

- هل تحميني أم تسجنيني؟!

- بالطبع أحميكي!

- ولكن ماذا أسمى مني من ما أريد

- سميهِ خوف، قلق...

فهدأت ثائرتها وفشلت في إثارة غضبها مرة آخر بعد إجابته تلك عليها، فصمتت هنيهة، ثم قالت مرة أخرى تطلب منه بهدوء:

- هل يمكنني العمل معك ومساعدتك ما لم يعرضني هذا للخطر؟

نظر لها وابتسم مرحباً:

- يبدو هذا الاقتراح جيداً

فابتسمت هي الأخرى وقالت:

- حسنًا اتفقنا

(٢٢)

نظر سهيل بداخل الغرفة التي تقبع فيها سما مكبلة اليدين والقدمين على سرير في أحد الأركان، وعندما نظر إليها وهي على هذا الحال؛ اغتم قلبه ولعن أثير ومن يشبها، ثم أصدر صوتًا حتى تنتبه لوجوده، فأدارت وجهها ناحية الباب، فقال:

- هل أستطيع أن أدخل؟

خجلت لرؤيته لها وهي على تلك الحال، لكنها أجابت:

- بالطبع يمكنك الدخول

ولكنه شعر بما يعترى داخلها من تلكما العينان التي تنظران بخجل في كل مكان، فأخرج ملاءة من الصندوق الخشبي الذي يقبع في ركن آخر من أركان الغرفة وغطى به جسدها الملقى على السرير، فارتحات لفعله هذا واطمأنت، ثم نظرت لكتفه المربوط وقالت بأسى:

- سامحني على ما فعلته بكتفك

فنظر لها بعينيه النجلوتين وابتسم قائلاً بلطف:

- لا تضعي هذا الأمر على عاتقك يا أنسة سما؛ فأنت لم

تقصدي ذلك

ثم نظر إلى كتفه واستطرد:

- كما أنه جرح خفيف لا تقلقي

شردت قليلاً ثم أردفت قائلة:

- لقد حاولت السيطرة على ما في داخلي ولكن في النهاية لم أستطع.. لقد كان الأمر أشبه بانفجار بداخلي جعلني أشلاء لا تقوى على التجمع وفعل أي شيء، وعندما ينتهي الأمر أصبح كالجثة الهامدة وكل ما بي يئن ويتألم لدرجة إنني لا أقوى على النطق أو رفع إصبعي حتى، أما ذاكرتي التي تتعباً بكل ما لا أريد فعله تجعلني في كثير من الأوقات أفكر بأن أنهي حياتي وأتخلص من ذلك العذاب.. الموت أفضل بكثير مما أنا فيه

ترقرق الدمع بعينيه ولكنه قال بثقة:

- البلاء على قدر طاقة العبد، لا يكلفنا الله أكبر ما في وسعنا وطاقتنا، أنت قوية ولست بضعيفة، ادركي تلك القوة التي بداخلك وأنا أضمن لك أنك ستستطعين هزيمة أي شيء

تجدد الأمل بداخلها، وظهر ذلك جلياً في عينيها، فابتسم بحب ولين، ثم عقص ما بين حاجبيه مفكراً، ثم قال:

- كيف عرفتِ تلك الملعونة أثير؟.. ولماذا قامت بوسمك بتعويدة استحواذ؟

- كانت زميلة لي في الجامعة، لم أكن أحب صحبتها فكنت أتلاشى رؤيتها ولكنها كانت تظهر لي من حيث لا أدري، كنت أشعر بالقلق والرغبة والخوف في كل مرة أراها فيها، وفي يومٍ بئس دخلت حمام الجامعة لأتفاجأ بها خلفي ولم أعي إلا بروحي تخرج مني وحرارة عالية تلتصق بظهري ورقبتي من الخلف، لقد شاهدت وقتها خيالات مفزعة وأصوات مخيفة، وانقلبت حياتي من وقتها رأساً على عقب وصرت أرى وأسمع ما لا يجب أن أراه وأسمعه.. أما لماذا وسمتني فأنا لا أعرف لما فعلت بي هذا!

شعر سهيل بالحنق قائلاً:

- حقاً إنها ملعونة.. ولكن لا تقلقي، طالما تثقين بالله وتظنين به الظن الحسن، وطالما أنتِ هنا؛ فلن تستطيع تلك الملعونة أذيتك مهما حاولت.. وأنا سأكون بجانبك دائماً

قال جملته الأخيرة وهو يبث من عينيه النجلوتين دون إرادة منه دعوة من نوع خاص لها -أي كوني ملكة عالمي حتى تكوني عهدتي فأكون حارساً حامياً لك- ، فأثرت الصمت ولكنه كان صمت خجل، حتى أردف مرة أخرى قائلاً:

- هل لديك عائلة؟

عندما سمعت كلمة عائلة ترقق الدمع بعينيها وأحمرت أرنبه أنفها وهي تحاول ألا يتفوص فمها وتبدأ بالبكاء كالأطفال؛ فقالت ولسانها يتلثم بالحسرة:

- لقد تبرئوا مني!.. لقد ارتابوا من تصرفاتي في البداية وأخذوا يتجنبونني، ولكنهم في النهاية صاروا يخافون مني، لذا طردوني.. ولكنني أعذرهم فهذا أمر يتعدى قدرتهم على الاحتمال

اقشعر بدن سهيل وسارت بجسده حرارة من غضب أو حزن وهو لا يستعب أمر أن ترمي عائلة فردًا منها بسهولة دون ضمير، وتساءل لماذا لم يحاولوا علاجها؟، لماذا لم يخاطروا لأجلها؟، ألم توجد العائلات لهذا السبب!، وبعد دقيقة من الصمت الذي لا يخلو من الضجيج الفكري قال بصدق:

- اعتبري أن كل من في هذا المكان عائلتك، كما اعتبرهم أنا أيضًا

- ألا تملك عائلة أنت أيضًا؟

- لقد ماتت والدتي بعد ولادتي ومات والدي بعدها حزنًا وكمدًا عليها وتُركت بلا أم وأب وأخوة، ولكن خالاتي وأعمامي

والعشيرة جميعها لم تتركني، فكانت كل الأمهات أمي وكل
الآباء أبي وكل الأولاد إخوتي

فنظرت إليه بأسى، ثم قالت بحب:

- الناس هنا حقًا رائعون.. أشعر بأنكم مختلفون كثيرًا عن
الناس بالخارج

فابتسم لها، وابتسمت هي بالمقابل، وقلبيهما ينبضان في صديهما
بتناغم.

(٢٣)

هب سامي واقفًا من أمام الكمبيوتر الخاص به بفرع.. لتُفزع طيبة هي الأخرى قائلة وما بين حاجبيها معكوس:

- ما الأمر لقد أفزعتني!؟

- ثائرة في خطر.. أين أوس؟

- إنه في غرفة التجهيزات يجهز نفسه للخروج لعملية بالخارج، لكن لما تقول أن ثائرة في خطر!؟

لم يفسر سامي شيئًا، وأخذ الحاسوب الخاص به وخرج متجهًا إلى غرفة التجهيزات مسرعًا، ثم وقف أمام أوس وهو يتصبب عرقًا، فتعجب الأخير وهو يقول:

- ما الخطب يا سامي؟

ابتلع ريقه وهو يغالب خوفه:

- ثائرة في خطر، لا تدعها تخرج معك في أي مهمة

عكس ما بين حاجبيه بقلق وقال:

- فسر لي

- صورة ثائرة معروضة هي وأكثر من شخص ممن يبحثون حول موضوع الإختطاف على أكثر من برنامج لبرامج ال

Dark Web ومطلوب من أي قاتل الخلاص منهم بالطريقة

التي يحبها أمام مكافأة كبيرة

ارتعد أوس الشجاع حين شعر بأن ثائرة قد تتعرض للأذى،
واصفر وجهه واغتمت ملامحه، ثم قال بحزم:

- سأفعل كل ما بوسعي حتى لا يطالها مكروه.. لا تقلق يا
سامي

وقبل أن يخرج متجهًا لثائرة؛ علا رنين هاتفه، فأخرجه مجيبًا:

- وعليكم السلام يا عدي..

...

- حسنًا!..

- أخبره أن يأتي ويحضر والديه معه في الحال

فنظر إليه سامي يسأله بعد أن أغلق هاتفه:

- هل الكلام عن طارق؟

- نعم

- ماذا حدث له؟!!

- لم يحدث شيء ولكن قد يتعرض للخطر لأنه على معرفة

بثائرة.. فلقد ذهب رجلان غربيان إلى الجريدة يسألان عن

ثائرة وعنه، ولكنه استطاع الهرب

فاغتم سامي أكثر مما هو عليه، فنظر له أوس يشجعه قائلاً:

- لا تقلق عليهما، لن يستطيع أحد أذيتهما هنا بإذن الله
- أتمنى ذلك!، وأتمنى ألا يتعرض أي أحد من المطلوبين على هذه البرامج للأذى أيضاً

فابتسم له أوس يطمئنه:

- لا تقلق، فعدي ومجموعة من شباب العشيرة على وشك الذهاب إليهم لحمايتهم وإحضارهم إلى هنا
- حمداً لله

ثم خرج الاثنان متجهان إلى تائرة التي قابلتهم في نصف المسافة بينهما، فنظرت بقلق لهرولتهم وإقبالهم المدوي عليها كقطر بصفارة مزعجة يحذرها، فقالت مستفسرة:

- ما الخطب؟

نظر لها سامي بلهفة وقال:

- أنتِ في خطر يا تائرة

فعكست ما بين حاجبيها وقالت:

- وما الجديد في هذا!

نظر لها أوس بحزم وقال:

- هذه المرة صورتك موجودة على برامج الدارك الويب..
مطلوبة للقتل

فتفاجأت ثائرة، ليستطرد أوس بحزم وصرامة:

- من الآن كل ما سأقوله لك وأطلبه منك ينفذ يا ثائرة، حتى لو
لم يعجبك الأمر

نظرت له ثائرة بغير رضى، فقال قبل أن تنطق بأي حرف منهياً
الحديث:

- لقد حُسم الأمر

فتهدلت كتفاها وأذعنت مرغمة لتلك الأوامر، ثم قال مرة أخرى
أمراً إياها:

- طيلة الوقت ستكونين برفقة سيلا أوطيبة أو أي امرأة من
نساء القبيلة.. لا تتجولي وحدك أبداً

- لكن أليس هذا المكان يصعب دخوله على أي حد ليس منكم!

- بلى، ولكن يجب علينا الحذر فلكل مكان ثغرة مهما بلغت
قوته

ثم نظر إلى سامي وقال:

- خذها الآن إلى سيلا

ثم نظر إليها مرة أخرى متذكراً أمراً آخر من حزمة الأوامر التي
يجب عليها تنفيذها:

- ولا تقربي سما أبداً.. هل فهمتِ؟

فقالَت بلا حيلة:

- حسناً لا تقلق

وقف أوس مع زياد أمام البوابة الكبيرة ينتظران طارق الذي كان في الطريق مع والديه وبرفقتهم اثنان من العشيرة. كان يقف متأهبًا، قلقًا، ولم يرتاح إلا بعدما رأى السيارة التي تحمل كل من طارق وعائلته قريبة من مرأى عينيه.

ترجل طارق من السيارة بعدما وقفت أمام البوابة الكبيرة، ثم فتح الباب لوالدته وأخذ بيدها يخرجها منها، وذهب أوس مبادرًا بالترحيب وفتح الباب الآخر لوالد طارق. خرج والد طارق من السيارة قلقًا وهو يقول بعدما نظر إلى أوس وزياد الواقفان بجانبه:

- ما الأمر يا أبنائي؟.. لم كل هذه الجلبة؟

ابتسم له أوس بود ولين وأجاب:

- لا تقلق يا عمي، سنشرح لكما كل شيء

- حسنًا، الله يستر!

ثم دخلوا جميعًا من البوابة الكبيرة على البيت الذي جُهِز لهما خصيصًا، وعندما جلسوا قص عليهما كلاً من طارق وأوس الحكاية كلها... فشهقت الحاجة زينب والدة طارق بفرع، وتعكر صفو الحاج رضوان والتهج لسانه بالذكر والدعاء لكل المكروبين،

ثم نظرت الحاجة زينب إلى ولدها بقلق وقلب أم مرتاب وعينان
دامعتان وقالت:

- إذن أنت لا محالة معرض للخطر، ورفقائك كذلك!

فقال طارق محاولاً طمئنتها:

- لا تقلقي يا أمي، الأمر ليس كما تظنين، إنه لا يشبه أجواء
الأفلام والمسلسلات كما تعتقدين الآن، لقد أتيت بكما إلى هنا
مع نية كبيرة في تغير الجو لكما لا أكثر، فالمكان هنا الهواء
فيه عليل، والناس هنا طيبون وأردت أن تتعرفوا عليهم،
فجميعهم هنا عشيرة واحدة

ثم قال أوس ليبت الاطمئنان في قلبيهما:

- المكان هنا مأمّن على درجة عالية، فكونا مرتاحين البال
فنظرت إليهما بتردد وعدم اقتناع، وكادت أن تقول شيئاً لولا أن
أسكتها الحاج رضوان وهو يقول لها:

- لا تقولي شيئاً يا أم خالد قد يثبط من عزيمتهما

ثم نظر لابنه ولأوس وقال مشجعاً إياهما:

- سهل الله أمركما، أنتما ومن معكما تقومون بعملٍ نبيل، سدد
الله خطاكم يا بني

خرج الاثنان وعلى وجهيهما الراحة بعد عدة دقائق أخرى من سماع كلمات التشجيع من الحاج رضوان والد طارق، ثم وقفا أمام بعضهما البعض فقال طارق بادئاً:

- هل حقاً نائرة مطلوبة قتلها على الـ Dark Web

فهز أوس رأسه بتعب وكآبة مجيباً:

- نعم!

فوضع طارق يده على كتفه بود، فأربك هذا أوس.. فابتسم طارق له وقال:

- لقد تعلمت قريباً أن أرى بكل حواسي الصورة الكاملة، كما تعلمت ألا أخط الأمور أيضاً

نظر له أوس بتمعن، فاستطرد طارق:

- أعلم إنك ستحميها، بل وستخلص في حمايتها

فابتسم له أوس برحابة صدر، ثم قال بقلق وكآبة:

- أنا أشعر بشئ سئ!، أشعر أنه قد يصيبها مكروه وهذا يخفيني

فارتفع حاجبي طارق وقال مماًزحاً إياه ليخرجه من تلك الكآبة:

- أنت تخاف؟!.. مستحيل!.. فأنت مخيف أكثر بكل تلك القوة

التي تملكها

ضحك أوس وقال يمازحه هو الآخر بعد أن أدرك مبتغاه:

- لا تقل إنك خائف مني!

فصاح طارق وهو يقلد تصرفات الخائفين المذعورين:

- أووه، يا إلهي أنا خائف جداً، أرجوك لا تقتلني!

فضحك أوس بملء فمه ومن كامل قلبه، وضحك طارق كذلك، ثم

بعد أن اعتدل مزاج أوس قال بجدية هذه المرة:

- هل تملك جريدتكم كاميرا تسجل كل يوم؟

- نعم!

- إذن سنصل إلى أولئك الرجال الذين أتوا الجريدة يسألون

عنك وعن ثائرة، ومنهم سنصل إلى الذي كلفهم بذلك

- جيد.. أريد أن أكون معك في تلك العملية

- لك ذلك

ثم اتجها إلى المكان المخبأ تحت أرض مدينتهم سوياً

جلست نائرة مع سيلا بين الأطفال الذين تم إنقاذهم مؤخرًا، كانت الأطفال كالحمامات والعصافير المنكسرة أجنحتهم، وجوههم شاحبة، هادئين وليسوا كبقية الأطفال العاديين يلعبون بنشاط، فنظرت نائرة بأسى عليهم ثم مالت على سيلا وقالت:

- يوجع قلبي رؤية أطفال قُتلت بداخلهم روح الطفولة

فتنهدت سيلا وقالت:

- من لا يتوجع قلبه على منظر كهذا؟، ولكننا نحاول على قدر

المستطاع معالجتهم ومساعدتهم

- ألم تصلوا لعائلاتهم حتى الآن؟

- هؤلاء المتبقون من الأطفال الذين لم نجد لهم عائلتهم حتى

الآن

- إنه لشيء فظيع أن يعيش الشخص ويظن أن ولده قد مات وهو

بالواقع على قيد الحياة، ومن الصعب أن تتشأ وحيدًا منبوذًا لا

يُعرف لك عائلة وهم قد يكونون على قيد الحياة.. يا للهول

الحياة قاسية جدًا!

- بالفعل إنها كذلك

ثم شردت نائرة تفكر، لتصبح بعدها بحبور:

- لدي فكرة تحل معضلة جمع أولئك الأطفال بذويهم

فنظرت لها سيلاً باهتمام وقالت:

- ما هي؟

- الفكرة تبدأ بإعلان على وسائل التواصل الإجتماعي وفي

الصحف الجرائد بعمل معمل تحاليل طبية لعمل فحص الـ

DNA، وكل الآباء الذين اختفوا أطفالهم يعطون عينة، وكل

طفل عثر عليه تتوافق المواصفات عليه يتم عمل تحليل له،

ثم يقارن بعينة الموجودين من الآباء

- إنها حقاً فكرة رائعة، دعينا نذهب لأوس ونعرضها عليه ومن

ثم يعرضها على شيوخ العشيرة

فتحمت نائرة وقالت وهي تقوم من مكانها:

- هيا بنا

واتجهت الفتاتان ناحية المكان المخبأ تحت المدينة الذي يعيشون

عليها

(٢٦)

وقفت ثائرة بجانب سامي ووقفت سيلا بجانب طيبة وهما
يسألانها:

- أين ذهب أوس؟

- لقد تركنا للتو وذهب برفقة طارق في عملية بعد أن جمعنا له
المعلومات عن أماكن الرجال الذين ذهبوا للجريدة للسؤال
عليك أنت وطارق

فسألت ثائرة:

- كم عددهم؟

ردت طيبة:

- ثلاثة أشخاص، وهم مربيون فعلاً

فترك سامي ما كان ينظر إليه وقال وهو ينظر لأخته:

- لماذا تبحثان عنه؟

- اقترح نريد عرضه عليه يخص الأطفال الذين أنقذهم لإيجاد
ذويهم

- لن أعدكما بأنه قد يأتي سريعاً

- حسناً، إلى اللقاء

خرجت الفتاتان من المكان وصعدا للأعلى، ثم جلسنا في الحديقة الكبيرة يتسايران مرة أخرى، فبدأت نائرة قائلة:

- كيف حال سما اليوم؟

- لم تأتِها الحالة التي كانت عليها المرة الفائتة الحمد لله، لكنها تعاني، شيوخ العشيرة يأتين كل يوم ليقرأوا القرآن في غرفتها،.. المشكلة في الوسم، إنهم يعذبونها بذلك الوسم، وكأنها ما بين عالمين، كل عالم يسحب طرف منها ناحيته

فنظرت نائرة للفضاء بأسى وقالت:

- كيف وصلت أثير لها؟

- كانتا في نفس الجامعة، واختارتها أثير للوسم، ولا أعلم لما فعلت بها هذا، حتى سما أيضًا لا تعلم

فردت نائرة بحنق:

- إنها فتاة لئيمة، حاقدة ومؤذية

ثم استطرقت مرة أخرى:

- كيف ستتخلصون من الوسم؟

- لقد بحثت كثيرًا وتوصلت لثلاث معلومات: الأولى هي أن الإنسان الزوهري هو الذي يستطيع إزالته ولكن إذا كان قويًا

ويستطيع أن يتحكم في الجن وملوكهم، الثانية برم اتفاق بدم زوهري وهذا بالتأكيد حرام، والثالثة هي يد محب تزيل الوسم بخنجر مطلي بالمسك وتم تغطيسه بماء مرقى، وذلك خلال قرائته للقرآن الكريم

ضيق تائرة عينيها وهي لا تستسيغ حقيقة المعلومة الثالثة في أن يقوم محب بإزالة وسم لتعويدة من السحر الأسود، فقالت:

- يبدو لي أن المعلومة الثالثة ليست حقيقية!

ابتسمت سيلا وقالت:

- قد تبدو للجميع فكرة مبتذلة أو سخيفة، ولكنها حقيقية كحقيقة وجودنا ووجود الكون من حولنا، الحب هو الوحيد القادر على الإنقاذ إذا شاء الله... بدون الحب يا تائرة سيصبح العالم مظلمًا موحشًا وكأنه غابة تسكنها جميع الوحوش، فعدم وجود الحب يخلق أطفالاً كسيرة وغير سوية ومرضى، يجعل الناس وحوش تقتل وتؤذي وتخطف، لكن الحب الأعظم هو حب الله لنا رغم معاصينا وذنوبنا وأفعال البعض الدنيئة، إن جل علاه لولم يكن يحبنا ما كان غفر لنا أو أعطانا فرصة للتوبة، ما كان سبحانه ترك أحدهم على وجه البسيطة

تأثرت تائرة وقلبا ينبض بداخل صدرها بقوة، فاستكملت سيلا:

- إنهم هنا يسموونني دودة الكتب.. لقد قرأت الكثير.. عن أمم
أطيح بها، وأمم انعمرت، وأمم فازت واستنارت، وأمم نزلت
حتى الحضيض، وأمم غضب عليها، وصدقيني يا ثائرة كان
الحب عامل رئيسي لكل الأحداث التي حدثت لهم، قد يكون
أولهم هو اختفاء حب الناس لله، واختفاء حب لأخيك ما تحب
لنفسك

فقالَت ثائرة وهي تنظر لها بانبهار:

- أنتِ حقًا رائعة يا سيلا!

ابتسمت سيلا بخجل وهي تشكرها بخفوت، ثم أردفت ثائرة مرة
أخرى تسألها مستفسرة:

- لقد سمعت دومًا عن الزوهرين ولكن لا أعلم من هم حقًا؟
وهل هم فعلاً أبناء الجن والإنس؟

- يقولون أن الزوهر يولد بمميزات خلقها الله به، كما أن له
سمات خلقية تميزه؛ كخط طولي في اللسان، وخط بعرض
راحة اليد وأيضًا في بطن القدم، يملك بؤبؤ عين أصغر من
الآخر، كما تشعرين عند النظر في عينيه ببريق يلتمع بعينيه،
أو تظهر عليه عرجة خفيفة في ساقيه، لون دمه أفتح قليلًا
عن الدم العادي، لكن في الحقيقة كل تلك السمات ليست
شرطًا أبدًا ليكون زوهر، وزوهرى جاءت من كلمة زوهر

العبرية ومعناها المضى أو اللامع، ويُقسمون إلى فئات منها
السليمانى والملكى وصاحب الماسة، الوسيط، الجالب، وكل
اسم يعبر عن ميزة خاصة يختص بها، والزوهري محبوب
بين بعض عشائر الجن، ومخيف للبعض الآخر خاصة إن
كان قويًا، لأن لو كان ضعيفًا سيتحوز عليه أحدهم ولن يخرج
إلا بالموت؛ لأن دماء الزوهري تجعل الجن أقوياء، أو
تجعلهم يرتقون لمكانة أفضل، لذا يُعتبر الزوهريين كنزًا
للسحرة، ولكن أولئك السحرة لا تطال أيديهم إلا الأطفال
ليقدموا دمائها للجن لتفتح لهم مقابر الكنوز

اتسعت عينيّ ثائرة بفرع واقشعر بدنها، فأحاطت كتفيها بذراعيها
وهي تقول:

- لقد سمعت كثيرًا عنهم ولكن لم أكن أعرف كل تلك
المعلومات، ولكن بشع جدًّا ما يحصل للأطفال.. أي وحش
هذا يذبح طفلًا بكل تلك السهولة

- هناك وحوش أفظع يا ثائرة، منذ سنة تقريبًا أنقذنا طفلان كانا
على وشك الذبح من أبائهما لأجل فك رصد إحدى المقابر

فغرت ثائرة فاهها بذهول وقالت ونفسها يتقطع وكأنها تختنق:

- أوصلت إلى هذا الحد!

- نعم للأسف!

فقال بيأس:

- أحيانًا أشعر بأن كل ما أسعى لإصلاحه بلا فائدة!، أشعر بأن كل الحوادث المخيفة والمرعبة والقدرة تزداد أكثر وأكثر..

نحن نغرق في عالم قاتم السواد يا سيلا

فوضعت سيلا كفها على كف نائرة تربت عليها وقالت تزيح هذا اليأس:

- لا تقولي هذا!، يكفي إنك تحاربين وتعرفين أناس محاربين مثلك لتعي أن العالم ما زال به خير.. ربما أنتِ يائسة لأنكِ تركزين دائمًا في تلك الأحداث وتسمعينيها بكثرة، لذا لا بأس ببعض المرح حتى لا تتجه روحك إلى الأفول يا نائرة، استغلي هذان اليومان ولا تفكري في أي شيء خاص بتلك القضية أو أي قضايا أخرى

- أتمنى ذلك ولكن أحيانًا لا أستطيع السيطرة على نفسي في عدم التدخل

ابتسمت سيلا وقالت بصدق:

- أنتِ وأوس تتشابهان في أشياء كثيرة، فهو كذلك لا يستطيع السيطرة على نفسه، ويهتم بكافة التفاصيل وحده حتى النهاية

فخجلت ثائرة واحمرت وجنتيها، وارتفعت نبضات قلبها وهي
تسمع أن هناك ما يشتركان به، وكأن شيئاً خاصاً بداخلها يُدعوها
للخجل، ثم قالت وهي تغير مجرى الحديث حتى لا تغرق بالخجل
أكثر ويظهر ذلك عليها:

- إذن ماذا ستفعلين مع سما؟!!

- ليس هناك حل غير أن يحاول أقوانا إزالة الوشم من على
قذالها

- أليست قذال بمعنى مؤخرة رأسها؟

نظرت سيلاً لثائرة بغير تصديق وهي تقول بمرح طفولي:

- فعلاً!.. وأخيراً وجدت من يفهم معاني الكلمات التي أقولها

فابتسمت ثائرة وهي تقول تجارياً في المرح:

- يا للهول!، لقد كنتِ تعانين وحدك هنا، لكن لا بأس لقد جئت
الآن

فأومأت سيلاً برأسها بنفس المرح، وانفجرت الفتاتان تضحكان.

وقف أوس أمام باب مخزن قديم ينظر إلى الضوء المتسرب من تحت عقبه وبجانبه كل من طارق وزياد وسلامة، ثم تقدمهم وأشار ليدخلوا من خلفه. ثم دفع أوس الباب بقوة؛ ففزع الخمسة الموجودون بالداخل، وارتبكوا وهم يحاولون بوهن إخفاء أوراق اللعب والأموال، ولكنهم ابتسموا بسخرية عندما وجدوا أنهم رجال عاديون وليسوا رجال شرطة حتى وإن كانوا يظهرون أقوياء، فقابلهم أوس ومن معه بنظرة ساخرة مستهزئة ولكنها كانت ممزوجة أيضًا بغضب وحنق. فأطلق أحد الخمسة نظره في طارق ليتأكد من صحة ما يراه؛ ليبتسم مشيرًا عليه لمن معه وهو يقول:

- إنه الرجل الذي كنا نبحث عنه في الجريدة!

فضحك البقية بغير تصديق، ثم قال أحدهم بصوته الغريب الأجنش الذي هو أقرب لصوت عادم سيارة ملئ بالقاذورات:

- يبدو أن والدته داعية عليه

واقترب الرجل وخلفه البقية مبتسمًا بخيلاء وبعجرفة؛ ففاجأة أوس بركلة في بطنه ألصقته بالحائط، لينكب على الأرض فاقداً للوعي. فتلفت الأربعة الباقون بفزع ينظرون إلى صديقهم الذي فقد وعيه بركلة واحدة ولبعضهم البعض بصدمة، لكن تماسك أحدهم ونظر

لأوس بغضب ثم قفز في الهواء لينقض عليه، لكن أوس أمسكه بيده
كخرقة بالية، وانقض كل من طارق وسلامة وزياد على البقية،
كتفوا لهم أيديهم وأرجلهم، ثم جلس أوس القرفصاء أمامهم وقال
بصرامة:

- من أمركم بالبحث عن طارق وثائرة؟

تلجح الخمسة في قلق ورعب، فهم خائفون منهم، وخائفون أيضاً
ممن طلب منهم هذا الطلب.. فصاح أوس وهو يقول بحدة:

- إن لم تنطقوا ستموتون.. من مستعد منكم للموت؟

ثم أمسك أوس برقبة أحدهم يخنقه حتى أزرق لون وجهه وجحظت
عيناه؛ وهو يقول لهم:

- بعد أن انتهى منه سأقضي على ثلاثكم فرداً فرداً

فنظر إليه الأربعة الآخرون بفرع وهم يرون جديته، فقال أحدهم:

- سنخبرك!

فترك الرجل الذي كان بيده، ليظفر الرجل برقبته مرة أخرى وهو
يلتقط أنفاسه المبعثرة، ليستطرد الرجل الآخر:

- اسمه حنفي الأعور، وهو من منطقة ***

نظر لهم أوس نظرة جامدة، ثم قال مضيقاً عينيه:

- أنا أعرف عنكم كل شيء، مثل سرقة السيارات، وسرقة البيوت، أعمال الشغب والبلطجة، والقمار، أعلم كل قصة وأعلم كل فعل

فبكى أحدهم وهو يقول مستعظماً إياه:

- يا بيه أنا برقبتي خمسة أطفال وأمهم، أنا مسكين، أرجوك اعفو عني يا بيه

واستناح معه الباكون بمثل تلك الكلمات، على غرار والدتي المريضة، وأبي المشلول، والأخوات اليتامى، فصاح عليهم أوس وقال:

- الآن أنتم فقراء تعساء، ألم تكونوا منذ نصف ساعة تقامرون

فصاح أحدهم بقوة وهو يقول:

- هذا الهباب إدمان، ربنا يسامحنا

- حسناً، عندي لكم حل

فقالوا بلهفة الغريق:

- ما هو؟

- ستعملون عندي!

- كيف؟!

- سنأخذكم إلى الجبال، ستعملون هناك وستجنون مالاً وفيراً بدون سرقة أو تخريب أو فساد

تفاجأ الخمسة، حتى طارق الذي لم يصدق، ليستطرد أوس:

- لكن إذا لم توافقوا، سأضعكم في السجن ليتم معاقبتكم كما يريد القانون

فقال أحدهم:

- هل سنستطيع التواصل مع عائلتنا لإعطاءهم المال
- بالتأكيد

فوافق الخمسة وهم متوجسون وغير متيقنين، ثم طلب أوس من سلامة وزياد أخذهم على السيارة الأخرى ليتم نقلهم للمكان الذي سيذهبون إليه، وخرج هو مع طارق متجهين إلى السيارة الأولى، فقال طارق:

- أنت تمزح بخصوص أخذهم للعمل في مكان ما!
- لا

ذُهل طارق وقال:

- كيف؟!، إنهم مجرمون ويجب زجهم بالسجن لمعاقبتهم
فتنهذ أوس وقال:

- إنهم مجرمون ولكنهم لم يقتلوا أحداً، إنهم مساكين عانوا الفقر والجوع، والجهل، واضطروا لسلك هذا الطريق، إنهم يعتنون بأفراد عائلتهم حقاً، فدعنا نعطيهم فرصة

تفكر طارق قليلاً ثم قال:

- يبدو الأمر جميلاً، ولكن ألا تخشى أن تكون مخطئاً ويقومون بأي شيء يضر صاحب العمل

- لا تقلق، أنا سأبعثهم إلى عشيرتنا التي توجد في الصحراء والواحات، سيقومون بإخراج رجال منهم أفضل مما هم عليه، وسترى!

- أتمنى أن أرى ذلك حقاً

ثم ركبا السيارة وانطلقا إلى مدينتهم المختلفة.

في ساحة الدخول لمدينة العشيرة وقفت ثائرة ومعها سيلا وسلمى وسنداوة يستقبلن النساء والرجال الذين كانوا على قائمة الاغتيالات على الـDark Web، وقد كانوا في أتم صحة وحال ولم يكن قد تعرض لهم أحد بعد، ولكن القلق كان يغمر وجوههم كفياضانات لا تهدأ في الهجوم، رحن بهم بشكل جميل، حتى إن ثائرة تعجبت من لطف سنداوة وهي التي لم تطقها هي وأخيها منذ أتت إلى هذا المكان، فهمت لسيلا:

- ترى ما بها سنداوة لتكون بكل هذا اللطف؟!!

ابتسمت لها سيلا وقالت:

- سنداوة في الأساس ليست عدائية ولا تكره أحد ولكنها جدية إلى أبعد حد، وكل شيء عندها بنظام وترتيب وأصول، غير أنها تنافسية ولا تحب الخسارة، حتى إنها أكثر تنافسية من طيبة

- ولكن مع علاقة كل هذا بمعاملتها لي ولأخي

ابتسمت سيلا أكثر وقالت:

- لأنها رأت فيك منافسة

نظرت لها ثائرة بعدم فهم أكثر وهي تقول:

- علام؟

تنهدت سيلا ورجحت أن تخبرها بما تعيه وتشعر به فليس هناك مفر، وربما تكون سبباً في تسريع ما تتمناه، ثم قالت:

- على أوس

لم تفهم ثائرة ما الذي تقصده، أو ما تلمح إليه، وقالت بتعجب:

- وما دخل أوس بتنافسها معي!؟

وما إن انتهت من سؤالها هذا حتى اتسعت عينيها مدركة بصدمة، فاشتعل وجهها بنار الخجل اشتعالاً، لتبتسم سيلا وهي تقول مؤكدة:

- أوس منجذب إليك كثيرًا، وربما يفكر فيك كشريكة له
أيضًا.. أنا متأكدة من ذلك تمامًا

ثم نظرت لها، ولعينيها لتري إن كان فيهما نوعًا من الرفض؛ فلم تجد، فاستطردت بفرحة:

- وأنا متأكدة إنك منجذبة إليه بالمثل

فلم تعقب ثائرة بكلمة ترد بها، لتقول سيلا مرة أخرى:

- لا أريد منك ردًا أو أن تخجلي من التعامل معي، فنحن
أصدقاء واجعلينا نعتبر هذا الحديث؛ حديث فتيات خاص لا

يعلم به أحد.. أما بالنسبة لسنداوة فهي لا تحب أوس ولكنها
تحب الدم النقي وتسعى لأن يمتلكه أولادها خصيصًا أن أوس
ينحدر من العائلة المؤسسة للعشيرة

هنا تحركت ثائرة من جمودها وسألتها:

- أليست سنداوة من العشيرة

- بلى!، ولكن والدتها ليست من العشيرة، وهي ترى نفسها طيلة
الوقت ليست كالفرس الأصيل وأنها هجينة، مع إن هذا ليس
بفارق؛ فالمهم ما هي كينونة الإنسان الحقيقية، هل هي كينونة
خيرة أم شريرة

ثم قاطعها صوت من بين القادمين ينادي باسم ثائرة، فنظرت
الفتاتان والمحيطين بهما لصاحب الصوت. كان شابًا في أوائل
الثلاثينات، بشرته بيضاء وتزين ذقنه لحية سوداء صغيرة، ثم تقدم
منها وقال:

- أنا أعرفك.. أنتِ الآنسة ثائرة عادل، صحفية في جريدة
المتحدة، أليس كذلك!؟

نظرت له ثائرة بتمعن تحاول تذكره وكأنها رآته من قبل، ثم قالت:

- نعم أنا هي.. لكن أسفة؛ فأنا لم أتذكرك جيدًا

ابتسم الشاب بهدوء، وقال:

- لا بأس، أنا سليم صحفي أيضاً ولقد تلاقينا مرتين، مرة عندما كنت مع والدك في الإسكندرية، ومرة أخرى كنا في لقاء صحفي مع..

- آه!، لقد تذكرت الآن، كيف هو حالك؟

- بخير ولكن يبدو كأنه كحالك وكحال من جنئت معهم

فنظرت تائرة لهم بأسى، ثم قالت:

- نعم كلنا معرضون للخطر؛ لأن ألسنتنا وأقلامنا لا تأبى إلا قول الحق وكتابته

- يبدو كذلك!

فردت بهمة هذه المرة:

- ولكننا لسنا وحدنا، ولسنا ضعفاء، معنا الله ثم قوة هذه العشيرة التي نقف على أرضها

فنظر سليم لسيلا وسنداوة وكل رجال هذه العشيرة المميزون وخاصة إلى أعينهم، وقال:

- يبدوون صالحين وأقوياء.. ومختلفون

وخلال ذلك الوقت لم يترك سليم تائرة إلا وقد أفضى كل ما بجعبته من مواضيع كثيرة، خاصة عن ما استطاع جمعه خلال بحثه في

قضايا الاختطاف التي بدأت تكثر خلال هذه الأيام، فعكس ما بين حاجبيه بجدية وهو يقول:

- لقد أصبح الأمر خطيراً ولم يعد يقتصر على اختطاف الأطفال لاستغلالهم في التوسل والشحاذة لجمع الأموال، لقد وصل الأمر كما تعلمون لتجارة الأعضاء، وللتعنيف وللاغتصاب.. لقد أصبح الإنسان أكثر توحشاً

فقال سيلا مؤكدة:

- لقد صدقت

فتدخلت امرأة أربيعينية من ضمنهم وقالت:

- هؤلاء المتوحشون أصبحوا في حالة هياج عالية، وسترون ذلك في طرق الخطف التي تُخطف بها الأطفال الآن

ثم استطردت بعد أن ابتلعت ريقها وهي تقول بنبرة صوت شبه عالية وملئية بالغضب:

- أنهم يتجولون في الأسواق والشوارع رجالاً ونساءً مرتدين ملابس المنتقبات ليختطفون الأطفال، يتسللون إلى المستشفيات ويختطفون الأطفال حديثي الولادة والأطفال الصغيرة الذين يحضرون المستشفيات مع ذويهم

أوما حينها سليم برأسه وقال أسفاً:

- المشكلة أن من يقومون بالاختطاف الآن أو بمساعدة المختطف؛ أناس من حولنا لا نستطيع أن نشك بهم بسرعة لنتدارك الخطر وقلة الوقت

ثم أفضى كل شخص من الخمسة المتبقين بمعرفته بجانب من جوانب القضية، فابتسمت ثائرة بحماس وقد دب الأمل في قلبها بعد أن رأت أناس يهتمون بالحق والخير، وقالت:

- يسعدني أن أرى مثلكم من أصحاب الكلمة الحق، وسيسرني أن نتعاون معًا جميعًا للتخلص من هذا الشر

فأسرع سليم يقول لها بلهفة:

- أنا سأكون أول المتعاونين معك.. ومعهم أيضًا

لنتوالى الوعود منهم من بعده، وكان ذلك لحظة دخول أوس وطارق، فنظر أوس إلى عدي وقال:

- هل أتممت المهمة بنجاح وأحضرتهم جميعًا؟

- نعم لقد فعلت

ثم نظر لهم أوس مبتسماً ومُرحباً بهم وقال:

- لقد أنرتم عشيرة الأوس

فشكروه، ووعدوه إنهم سيساعدونه بكل رحابة صدر، فشكرهم بالمقابل لذلك. ثم اقترب عدي من أوس وطارق وسألهم:

- هل توصلتم إلى شيء؟

- نعم

- هناك رجل يُدعى حنفي الأعور ولقد عرفنا منطقته، ولكنني سأتقصى عنه أكثر من فريق المخترقين

ثم سكت وترك طارق وعدي يتحدثان وهو ينظر ناحية سليم الذي ينظر لثائرة وسيلا نظرة لا تعجبه أبدًا، ثم سأل طارق بعصبية:

- هل تعرف هذا الرجل يا طارق؟

فنظر كلاً من طارق وعدي اتجاه ما يرمي إليه بصره، ليقول طارق بعدها باستنفار:

- لا أعرفه

لكنه عكس حاجبيه واستطرد:

- لكن لماذا ينظر لثائرة وأختك سيلا بتلك الطريقة البلهاء وغير المهذبة

فقال عدي قبل أن يهم ناحية زوجته سلمى:

- كيف ينظر لهما هكذا وهو بيننا.. ألا يستحي؟.. تصرف معه
يا أوس قبل أن أذهب وأؤدبه بنفسي

فنظرا إليه، ثم نظرا لبعضهما البعض، قبل أن يتجها إلى حيث تقف
الفتاتان، ثم قال أوس بعصبية يحاول إخفائها وهو ينظر حيناً إلى
ذلك المدعو سليم:

- لماذا أنتما واقفتان هكذا؟

وردد طارق مؤكداً:

- نعم لماذا؟

فنظر إليه وهو يعكس حاجبيه وقال هامساً له:

- وما شأنك بهما؟!!

فعكس طارق ما بين حاجبيه هو الآخر بغير رضى وهو يقول
هامساً:

- شأني هو أن أحمي ثائرة، أنا وإن لم أتزوجها أبداً ستظل
عائلتها وعائلتي أصدقاء، وسامي اعتبره أخي، وكذلك هي
زميلتي، ومن الأصول أن أحميها من أي شيء حتى يأتي من
يتزوجها ويحميها بعدي

وبنفس الهمس رد أوس:

- لا تغضبني بجملة "وإن لم أتزوجها"، ثم إنني أتيت
وسأتزوجها فلا داعي لوجودك المبالغ فيه

- عندما تتزوجها يا أوس أفعل ما تريد.. ثم إنني أيضًا لا
يعجبني أن ينظر هذا الرجل بنظراته السمجة المتفحصة
لسيلا أيضًا أو أي فتاة أخرى وليست ثائرة فقط

نفخ أوس بنفاد صبر وقبل أن يهمس مرة أخرى، قالت الفتاتان
بتعجب:

- فيما تتهامسان؟!!

فنظرا لهما ثم قالوا:

- لا شيء

ثم قال طارق مرة أخرى طالبًا منه:

- هل تسمح لي بالذهاب مع سيلا لرؤية سما ومناقشة حالتها
وما سنفعله؟

- بالطبع ولكن وأنا معكما!

كان هذا يخرج سيلا كثيرًا، فأخذت تفرك بقدميها الأرض وهي
تنظر لهما حتى تخفي تورد وجنتيها، ولكن أفعال الفتيات لا تفهمها
إلا الفتيات، فابتسمت ثائرة بخفوت لأجلها، ثم نظرت لهما وطلبت:

- هل يمكنني أن آتي معكم؟

فرد أوس قائلاً:

- لا، لا يمكنني المخاطرة بوجودك معها في نفس المكان
- ولكن لماذا وأثير لا تعرف بأمر طلب قتلي وليس لها علاقة
بالأمر؟

- بل لها علاقة، كانت تعرف عاصم، وكانت تعرف ما يفعله
بدليل إنها كانت تطلب منه الأطفال ليحضرهم لها

فقال سيلا هذه المرة:

- ولكننا سنكون بجانبها يا أوس، كيف ستستطيع أذيتها وجسد
سما مكبل بالسريير.. نحن خمسة أفراد أيضاً!

بدت كلمات سيلا منطقية؛ فقالت ثائرة حينها بجدية:

- لا داعي للمبالغة يا أوس، كما إنني لست معتادة على التراجع
أمام الخوف والقلق ولا أحب أن أعتاد على هذا

تردد كثيراً قبل أن يوافق؛ ولكنه أخيراً قال:

- حسناً!.. ولكن أنا ما زلت غير مرتاح

(٢٩)

دخل أربعتهم على سما؛ وسهيل الذي كان يقبع في زاوية من
الزوايا لحمايتها، فوقف سهيل مرحبًا بهم، ثم قال لسيلا بلهفة:

- هل وجدت الحل يا أنسة سيلا؟

ابتسمت له سيلا وهي تتمعن في تلك اللهفة، ثم قالت بأمل يتعالى
في نبرة صوتها:

- نعم!، لقد وجدت الحل الحمد لله

فابتسم بسعادة وحبور وقد استضاءت تقاسيم وجهه وهو يقول:

- إذن متي سنخلصها مما هي فيه؟

- قريبًا جدًا يا سهيل، ربما غدًا أو بعد غد

فنظر إلى سما بفرحة وهو غير مصدق قائلاً:

- غدًا...

لم يستطع إنهاء كلماته عندما سمع حشجة في صوتها وكأنها تقاوم
شيئًا ما، فصاح بقوة:

- قاومي يا سما

لكنها لم تستطع؛ وظلت تنن حتى خرج منها صوت قوي غليظ وهي تحاول النهوض من مكانها؛ فصلصت القيود تمنعها من النهوض تمامًا من مكانها، ثم نظرت لهم بعينين حمراوتين مفزعتين وعلى ثغرها أبشع إبتسامة مرعبة قد تكون، ثم تحول لون عينيها مرة أخرى إلى اللون العسلي لعينين خبيثتين وقالت وهي تنظر لأوس:

- أهلاً بأوس وجماعته

فامتعض أوس وضغط على أسنانه بقرف.. ثم نظرت لثائرة وهي تزوم عليها كأنها وحش كاسر مفترس يريد افتراس فريسته، فهوى قلب أوس قلقاً من نظراتها لثائرة، فحولت نظرها إلى أوس وهي تقول بصوت أثير الذي كان يتردد ويتقطع وكأنه جهاز راديو معطل يحاول التقاط إشارة ما:

- قلبك ينبض خوفاً عليهم جميعاً، خاصةً على أختك، وتلك

الفتاة ولكنه ينبض لها بطريقة مختلفة

فنظر الجميع إليه حتى ثائرة، ولكنها نظرت إليه وقد تجلت من عينيها مشاعرها التي تخفيها بأعماقها؛ فاعتلى صوت أثير بضحكات رنانة وهي تستطرد قائلة:

- وهي كذلك أيضاً.. هكذا سيكون تمزيقكما أكثر متعة

ثم نظرت لأوس بغل وجنون وقالت له:

- سأمزقها أمامك حتى يقف قلبك من بشاعة ما سيحدث لها

هنا ثار أوس وهجم عليها كليث جريح سيدمر كل شيء، فأمسك عنقها وضغط عليه بقوة طقطقت عظامها، لكنها كانت تضحك كالمجنونة الممسوسة، في حين كان سهيل يمسك بيد أوس وهو يحاول إبعاده عن سما، كان يصرخ أيضاً كالمجنون وهو يقول بتوسل:

- اتركها يا أوس.. هكذا ستموت سما البريئة بين يديك

تركها أوس بعد توسلات سهيل العديدة وبعدما أحس بأنه صار هناك أخرى بين يديه ترتجى التنفس قبل أن تموت، فابتعد عنها ونظر للمسكينة التي كانت تشهق وهي تتلوى وتبكي؛ فانقبض قلبه حزناً ثم قال وصدرة يعلو ويهبط بألم وندم:

- أنا آسف.. أنا آسف

ثم وقف بمحاذاة ثائرة قائلاً لها:

- تعالي ورائي

بعدها انصرف وتركهم يحلقون حول سما يطمئنون عليها

نظرت ثائرة لهم وقد شعرت بالخجل من طلبه بعد ما حدث، ولكنها خرجت تلاقيه في الخارج كما أراد. كاد أن يخرج طارق خلفها وهو يريد أن يقول شيئاً؛ ولكن أوقفته سيلا وهي تقول:

- لا تقلق يا أستاذ طارق، لا بد أن تُضع النقط على الحروف

فنظر لها طارق بهدوء وسكت، ونظرت هي إلى سهيل الذي كان بجانب سما يخفف عنها، فابتسمت وقالت بينها وبين نفسها: "ربما هناك من يهتم لأمرك يا سما وقريباً ستنتهيين من كل ما تعانينه"

ثم قالت لسهيل:

- أريدك أن تأتي إلى المكتبة بعد أن تطمئن على سما

فأوماً لها برأسه قائلاً بصوت مبحوح مُتعب:

- حسناً يا آنسة سيلا

ثم أخذت نفسها وخرجت من الغرفة، وتبعها طارق. مشياً بصمت حتى بدأ قائلاً:

- أظن إننا سنتجه إلى المكتبة الآن!

- نعم!

في حين كان أوس يقف مولياً ظهره لثائرة، ثم قال حينما شعر
بوجودها خلفه:

- ربما تعرفين حقيقة مشاعري نحوك الآن، فأثير الملعونة
صادقة هذه المرة، وكم أتمنى أن تكون ما قالتها عن مشاعرك
صحيح أيضاً

ثم صمت قليلاً؛ لتشعر ثائرة خلال ذلك الصمت بإبتسامته العذبة
تحتل ثغره؛ بل وجهه كله، ثم استطرد بعذوبة ودفء:

- أنا سأنتظر والدتي أن تعود من بلاد الحجاز حتى تطلبك لي،
فإن كنت موافقة سيكون صمتك دليل موافقتك لطلبي الذي
أتمناه وأرغب به بشدة، وإن كنت تودين الرفض فأخبريني
الآن أو أخبرني سيلاً

وقبل أن يتركها ويذهب قال آخرًا:

- ولا تقتربي ناحية غرفة سما أبدًا.. كوني حذرة أرجوك!

(٣٠)

جلس كلاً من طارق وسيلا في المكتبة ينتظران قدوم الآخرين،
فقال وهو يهز رجليه بعصبية:

- ماذا سنفعل الآن؟
- لقد توصلت إلى ثلاث حلول وأفضلها في رأيي؛ هو أن يقوم
شخص يهتم لأمر سما وحياتها بإزالة الوسم عنها بخنجر تم
غمسه بماء فُرأت عليه الرقية الشرعية ودُهن بالمسك
- وما هما الحلان الآخران، أريد معرفتهما تحسباً؟
- الأول إحضار إنسان زوهري قوي لتخاف منه الشياطين التي
على جسد سما ولكني متأكدة أن الأمر سيصير حرباً وقد
تموت سما فيها، أو يكون زوهري وسيط بدمه الذي
سيتنازلان عن أي شيء للحصول على قطرة منه وهذا محرم
عندنا لأنه يعتبر قربان واستحضار أو استعانة بشكل من
الأشكال
- إذن كيف سنأتي بشخص يهتم بسما وحياتها؟.. هل عائلتها
موجودة؟

فقالت سيلان بألم:

- للأسف عائلتها تخلت عنها

- ماذا!، ما هذه القسوة!؟

- لا بأس فهناك الآن من يهتم لأمرها حقًا

عقد طارق ما بين حاجبيه مستفسرًا:

- أتقصدين العشيرة؟

- غير العشيرة!

فرغ حاجبيه متعجبًا وقال:

- من!؟

تنهدت سيلا وقالت:

- أنتم الرجال حقًا لا تملكون عقلًا مميزًا، عقلوكم لا تهتم إلا

بالبديهيّات فقط

فابتسم طارق بخفوت وشعر بالخجل قليلاً، ثم قال:

- إذن هل تتكلمين عليّ وتخبريني بمن يكون هو؟

ابتسمت هي الأخرى ثم قالت مختصرة:

- سهيل

- حقًا!

ثم عكس حاجبيه مفكرًا حتى اتسعت عينيه والتمعت، وقال:

- يا إلهي!، كيف لم ألاحظ.. حقًا نحن الرجال عقولنا لا تعمل
إلا للضرورة فقط

ابتسمت سيلا وصمتت تفكر قليلاً؛ لتقول بعدها بحرج:

- هل يمكنني أن أتكلم معك في أمر شخصي؟

فنظر لها طارق بفضول وقال:

- تكلمي في أي أمر تشائينه!

- عندما أتيتم إلى هنا رأيت في عينيك شيئاً خاصاً ناحية ثائرة،
لا أعرف إن كان حباً أم إعجاباً..

اعتدل طارق في جلسته باهتمام، ونظر إليها بفضول أكثر، لتكمل:

- ولكن الآن أصبحت أراك ترغم نفسك على الابتعاد عنها،
وحالياً بت تعلم أن كلاً من أوس وثائرة يكتان لبعضهما
البعض مشاعر من نوع خاص، فأخاف أن تدخر لأخي
الضعيفة على مرور الوقت لأنك لم تستطع الفوز بقلبها

كانت كلماتها تكشف لنفسه ما بداخله أكثر، وكان كل شيء يتضح
شيئاً فشيئاً؛ فابتسم طارق بخفوت، ثم قال بهدوء:

- أنتِ ذكية جداً وحساسة يا آنسة سيلا.. كما أنك مميزة

ثم نظر أمامه ينظر إلى اللاشيء وقال:

- لا تخافي، فأنا لن أكن لأوس أي حقد أو حسد؛ لأنني حاولت الاقتراب من ثائرة من قبل، كما أنني عرضت عليها الزواج أيضاً، ولكنها لا تراني إلا أختاً كسامي وزميل جيد لا أكثر من هذا، لذا ابتعادي الذي تلاحظينه نابع من قرار كان الأفضل اتخاذه منذ زمن؛ لأن الاستمرار في حب من طرف واحد مُهلك ومؤذي

وعلى إثر حديثه اختلج قلب سيلا بعنف، ربما شفقة على حاله أو ربما لأنها تشعر أنها تدخلت كثيراً فيما لا يعنيهها على الإطلاق، تدخل ربما يجعلها تندم فيما بعد، لذا آثرت اللواز بالصمت في حضوره معها، في حين شعر طارق بأن قلبه قد انبثق بداخله نور جعله يتحرر من مسحة الحزن والذكريات وحالة التعود التي جعلته يعتاد ثائرة. ثم نظر إليها بعينان تلمعان شغف وكاد أن يقول شيئاً؛ إلا أن دخول سليم المدوى بتصرفاته وسلوكه المبهرج وصوته العالي قد أسكته على مضض. اتجه سليم إلى سيلا مباشرةً وهو يلقي السلام بلامبالاة على طارق الذي أغاظه هذا كثيراً، ثم قال بابتسامة عفوية سمجة كما رآها طارق حينئذ:

- كيف حالك يا أنسة.. عفواً لم أتعرف على اسمك بعد

- سيلا

فقال بمبالغة شديدة:

- أووه!، اسمك مميز جدًا

- شكرًا لك

- ولكن ما معناه

زفر طارق بنفاز صبر وهو يقول في سره: "اسأل جوجل أيها الأحمق، وكف عن هذه الرعونة". لكن أجابته سيلا قائلة:

- سيلا له ثلاثة معاني في ثلاث بلاد، المعنى الأول يوناني ويعني "الشخص الذي تثق فيه الناس والمسؤول الذي يُعتمد عليه"، والمعنى الثاني تركي ويعني "العودة للوطن بعد الغربة، ولم شمل الأسرة بعد فترة غياب طويلة، المعنى الثالث عربي وهو مشتق من السيول

فابتسم طارق وهو يتمعن بمعاني اسمها، فتلك المعاني تفسرها وكأنها تطبعت بها، فهو رآها منذ جاء إلى هنا كشخص مسئول يعتمد عليه، ومصدر تثق به العشيرة بأكملها، رأى فيها قوة السيول وهي تقف بقوة أمام أثير توقفها، وبشكل ما يشعر أنها وطن لا يشعر فيه الإنسان بغربة.. وظل مبتسمًا حتى أخرجه حديث سليم من رحلة شروده فيها ومعاني اسمها على استنزاز تعجب له:

- ما هذا الاسم الجميل الرائع، أنت..

قاطعهُ طارق بإصدار جلبة وهو يضرب شيئاً ما على الطاولة الخشبية بمجدد ضخم كبير كان يجاوره، ثم قال معذراً اعتذاراً واهياً وغير حقيقي:

- حشرة!.. كانت هناك حشرة وكان علي التخلص منها

ثم نظر إلى سيلا وقال لها ليبيدها عن سليم هذا الذي لا يخجل من سماجته تلك:

- آنسة سيلا كنت أود أن ترشحي لي أفضل الكتب التي تتكلم عن الخوارق والأحداث الخارقة التي حدثت من قبل، وأتمنى أن تبحتي لي عنها الآن إذا لم أكن أزعجك أو أكون شخصاً ثقيلاً

استحسنت سيلا طلبه لتهرب من أمام سليم؛ فقالت:

- لا أبداً.. سأتيك بهم على الفور

وقبل أن تهتم بالبحث دخل عليهم سهيل ومعه خمسة من شيوخ قبيلة أوس، لتتوقف عما كانت ستفعله واتجهت إلى شيوخها تستقبلهم.

جلس سامي ينظر إلى طيبة وصهيب والجمع الموجود وهم يتفاخرون بجوائزهم في الألعاب الرياضية، ووبراعتهم في الصيد والخروج إلى الميدان وساحات القتال؛ وعلى وجهه نظرة بائسة وهو يشعر بغيرة لأنه ليس مثلهم، كما كان يشعر بغیظ كبير من طيبة وصهيب معاً، وكم كانت تراوده الأفكار التي فيها ينتصر على صهيب وهو يرفع يده بانتصار ويقول لقد فعلتها لقد فعلتها.

كان غارقاً في أفكاره تلك في حين كان أوس يناديه ولم يلاحظه؛ إلا بعد ما هزه أوس بيده، فنظر له الأخير بفرع وهو يقول:

- متى أتيت؟

فابتسم أوس وقال:

- بماذا كنت تفكر أنت؟

نظر حوله وقد وجد أن جميعهم على مكاتبهم، إلا طيبة التي كانت تقف بجانب أوس، فقال:

- يبدو إنني شردت قليلاً!

فقال طيبة:

- بل قل كثيراً.. أنت تشرد كثيراً هذه الأيام يا سامي

فسأله أوس:

- هل أنت بخير؟

تنهد وهو ينظر له ولطيفة بتردد، فلاحظ أن هناك أمر لا يريد
البوح به أمام طيبة، فقال له:

- سأتي إليك الليلة بعد الإنتهاء من مهمتي على خير بإذن الله؛

لنتحدث لبعض الوقت، فأنا أود إخبارك بشئ

- حسنًا!.. أنا بالفعل أريد الجلوس معك والتحدث أيضًا

- اتفقنا إذن.. الآن أخبرني بالمعلومات التي توصلتم إليها عن

هذا المدعو حنفي الأعور

فقالت طيبة بحماس:

- إنه مرتزقة، يؤجر للقتل وللخطف، ويبدو إنه خطير بالفعل

ثم قال سامي:

- هذا الرجل منذ فترة يتواصل مع بعض الأرقام المحمية

بجدار حماية قوي جدًا، ومنذ ذلك الوقت عمل تحت يديه

فرقة من البائعين الجائلين والمتشردين والمشبوهين من

النساء والرجال، وهذه الفرقة مخصصة لاختطاف الأطفال

- جيد ما توصلتما إليه

ثم نظر لسامي بحماس متقد:

- كم ستأخذ من الوقت لتخترق جدر الحماية تلك

نظر له سامي بثقة وقال:

- لن تأخذ مني الكثير إذا عزمت على اختراقها، لكن أعطني

يومان أو أقل

- هذا جيد جدًا

تردد سامي قليلاً قبل أن يقول ما يريد قوله، لكنه في النهاية قال:

- هل أعطيك رأيي بخصوص مهمة اليوم؟!

- أتمنى ذلك.. أخبرني بما عندك

- لا أريدك أن تخرج للقبض على حنفي الأعور إلا بعد

الوصول إلى هؤلاء الناس أولاً

- لماذا؟!

- لأن قبضك عليه ستحدث جلبة حتى وإن كنت ستقبض عليه

في خفاء تام.. دعهم يتواصلون معه، لأن القبض عليه

سيجعلهم يتخفون مرة أخرى ويأخذوا حذرهم أكثر من ذي

قبل، وربما لن نستطيع الوصول إليهم مرة أخرى بتلك

السرعة

فصاحت طيبة وهي تقول لأوس:

- هذا الذكي عنده حق يا أخي

فقال أوس:

- أنت بالفعل ذكي يا فتى وعقلك يعمل بكفاءة عشرة رجال دون
كلل

فابتسم لهما بخجل وقال:

- حسنًا لقد أعجبتني المجاملة.. شكرًا كثيرًا!!

وابتسم له أوس بفخر وقال:

- سأترككما الآن لتعملان

ثم نظر لطيبة وقال:

- لكن أريد منك خمس دقائق بالخارج يا عزيزتي

- لك ما تريد يا حبيبي

خرجوا من المكان ثم نظر لها أوس بحب وقال:

- صغيرتي العزيزة، حبة الحمص الصغيرة؛ كم بلغت من

العمر الآن؟

فضحكت طيبة وقالت:

- ما زلت تراني حبة الحمص الصغيرة يا أخي!

- وسأراك دائمًا هكذا، رغم أنك الآن صرت أنسة جميلة

فاختضنت ذراعه وتشبثت بيديها الاثنتين به وهي تجاوره، ثم قالت:

- بلغت الثامنة عشر

ثم ضيقت عينيها وقالت:

- لكن لماذا تسأل؟

فابتسم وقال:

- حسنًا، كل ما في الأمر أن حبة الحمص خاصتي كبرت وأصبحت جميلة جدًا وظريفة إلى أبعد حد، وذكية ومرحة، وأنا أغار من أن تكلم شبابًا بدون حذر؛ فتجعلهم لا يحترمون كيانها الذي أنا واثق كل الثقة بأنها أفضل وأجمل إنسانة خُلِقَ وأخلاقًا على الإطلاق

فابتسمت طيبة واحتضنته قائلة:

- حسنًا يا أخي، لن أجعلك تغار أبدًا بعد الآن ولن أجعلك تشعر بالخجل أبدًا.. ولكن كم أنا محظوظة بأخ جميل مثلك

فأثم جبينها وقال:

- حسنًا يا صغيرتي والآن اذهبي للعمل، وعندني لك خبر سيفرحك، سأخبرك به مساءً

أخذت تقفز بحماس وهي تقول:

- أخبرني الآن أرجوك يا أخي

رفع حاجباه بنهي:

- أبدأ!، قلت مساءً يعني مساءً

فهدأت وتيرتها ثم قالت باستياء:

- حسنًا!.. سأنتظر المساء بفارغ الصبر

جلس الشيوخ مع طارق وسيلا وسهيل وسليم، رغم عدم معرفتهم بالأخير، ولكنهم افتحوا الحديث بالبسمة والصلاة على أشرف الخلق محمد بن عبد الله، ثم قال أكبرهم:

- أخبرينا يا ابنتي ما الذي توصلتي إليه

شرحت سيلا كل ما توصلت إليه، وما أهمية وجود سهيل، تلك الأهمية التي لم يكن سهيل على علم بها على الإطلاق، فكانت مفاجأة له تأكيد سيلا على وجود مشاعر في قلبه ناحية سما، كما أنه شعر بالخجل أمام شيوخه والجالسين بأنه قد يكن مشاعر أخرى لسما غير مشاعر الواجب والحزن على حالها، وسأل نفسه ملياً: "هل حقاً يمتلك مشاعر أخرى غير الحزن والشفقة عليها"، ثم انتهت الجلسة بسؤال أحد الشيوخ لسهيل:

- هل توافق يا سهيل على إزالة الوسم من على سما بنفسك

صمت سهيل قليلاً، ثم قال بدون تردد أو ندم:

- نعم أوافق يا شيخي

فقال الشيخ وهو ينهض ومعه بقية الشيوخ:

- على خير الله

ثم قال لسيلا:

- ألحقي بنا يا بُنيّتي

فأطاعت ولحقت بهم سيلا، وانزروا بها على جنب، ثم قال الشيخ
الأكبر:

- أحسنتِ ببحثك يا سيلا، ولكن خذي حذرِك من التعامل مع
الرجال والشبان، واحفظي قلبك لصالحك

أومأت سيلا برأسها في أدب وهي تقول:

- لا تقلقوا عليّ، فأنا سأكون عند حسن ظني بنفسي وبظنكم
وظن عائلتي بي

فابتسم الشيخ الأكبر بود وقال مؤكداً:

- لكن إياك من الوقوف مع المدعو سليم، إنه أهوج وتصرفاته
وكلماته طائشة رغم طبيّته

ابتسمت سيلا وقالت:

- لقد لا حظت ذلك؛ فلا تقلقوا

- حسنًا يا ابنتي نلتقي بالغد إن شاء الله

- إن شاء الله

فور أن ذهبت الشيوخ؛ اقترب سهيل مع طارق من سيلا، ولكن قبل أن يبدأ الأخير بالحديث؛ قالت له تعتذر:

- أعتذر يا سهيل!، لقد شعرت بأنني أخرجتك أمام شيوخنا، لكن صدقني لم أقصد هذا

نظر سهيل تحت قدميه وقال:

- أعرف أنك لا تقصدين، ولكن كان يجب أن تخبريني على الأقل بكل ما لاحظتيه

نظرت له سيلا بحزن، وعلى إثرها حزن طارق، ثم استكمل قائلاً:

- كما إنني فوجئت!، وأشعر بأن كل ما لاحظتيه مبالغة لا أكثر، وأخاف أن لا ينفع هذا سما بما أنه قد لا يكون حقيقة

فابتسمت سيلا، ثم قالت:

- يكفي خوفك هذا يا سهيل لأرى أن تواصلك مع سما أقوى من أي أحد منا رغم أن جميعنا نهتم لأمرها، توجد بينكما حالة من التواصل الوجداني حتى وإن لم يكن حباً بين حبيب ومحبوبته، لقد لاحظت أنك تحمل بداخلك شعوراً خفياً يجعلك تتواصل معها بأريحية وتآلف، لا أعلم سبب هذا الشعور ولكن أعرف إنه كافي ليخلصها مما تعانيه هذه الفتاة

فشعر سهيل براحة وتنفس بأريحية، ثم قال:

- إذن بالغد بإذن الله

- بإذن الله

وقبل أن يهوما بالخروج، نادى سليم على سيلا وقال:

- أئن تجلسي بالمكتبة تبحثين عن الكتب الذي أرادها الأستاذ

ثم أشار على طارق، فاغتاظ طارق ثم قال يجيبه نيابةً عنها بدون رحابة صدر أو ود:

- لا تستطيع أخيها يناديها

ثم قال أمرًا إياها بنفاد صبر:

- هيا إلى الخارج

وحين خرجا وذهب سهيل، قال بدون مقدمات:

- أنا آسف عما بدر مني بالداخل، ولكن هذا الرجل يغطيني
بشدة

فلم تبدي أي رد فعل ولم تقل شيئًا، فاستطرد منهيًا:

- يجب أن يُعامل سليم هذا بشدة أكثر، ولا تقفي أمامه أبدًا؛
حتى لا يطرده أوس أو يأكله بنفسه

هنا كادت أن تضحك سيلا ولكنها تماسكت، فلم يظهر منها إلى
إبتسامة خافتة، ولكن سرعان ما ابتلعتها وقالت:

- عندك حق.. الآن يجب على الذهاب
- بالتأكيد عليك الذهاب الآن.. إلى اللقاء غدًا
- إلى اللقاء

قالتها سيلا ورحلت سريعًا من أمامه، فوقف قليلاً في مكانه وهو يحاول تتبع رحيلها بعينيه وكأنها ضوء نجمة بعيدة يحاول أن يهتدي بها سبيلاً، ولكنه أدرك للمرة الثانية خطأ ما يقترفه، فضرب قلبه بكفه وهو يقول: "كيف لك أن تكون خسيساً، لا تمدن عينيك على ما ليس لك يا أحمق"

(٣٣)

وقف عدي مع أوس وهو يقول:

- أظن أن هذا فعلاً أفضل يا أوس
- إنها فكرة سامي
- هذا الفتى عقله يعمل جيداً
- بالفعل

ثم أخرج عدي هاتفه واتصل بأحدهم وهو يقول:

- السلام عليكم.. أخرج سامر وعقبة لمراقبة حنفي الأعور..
- أريد أن يتخفوا تماماً، كما أريد فرقة خاصة تراقب عصابته
- المتخصصة في خطف الأطفال، لا أريدهم أن يقوموا بالنجاح
- في خطف طفل واحد.. فلتقوموا بكل حيلة تجعلهم يفسلون...
- حسناً يا أخي، مع السلامة

وما إن انتهى حتى نظر إلى أوس مرة أخرى ليجده ينظر إليه
وعلى وجهه ابتسامة صبوح مُبشرة، فابتسم على إثرها عدي وهو
يقول:

- يبدو أن هناك ما يسر

فابتسم أوس وهو يقترب منه ويحاوط كتفه وعنقه قائلاً بسرور:

- يبدو أنني سأصير على قائمة المتزوجون قريباً

تفاجأ عُدي وصرخ وهو يقول:

- هل حقاً أخبرتها ووافقت!

- نعم.. ولكن حدث ذلك دون إرادة منا نحن الاثنين

- كيف!؟!

قص عليه أوس كل ما جرى، فقال عُدي منبهراً:

- أنتما حقاً مقدران لبعضكما البعض

- أتمنى أن تعجب والدتي كما أعجبتني

- لا تقلق يا صديقي، ستعجب بها، خاصة أن ثائرة تشبهك

وتشبه أخواتك، كما أن والدها كان صديق لوالدك وخالك، فلا

شك بأنها ستوافق

فابتسم أوس وتنهد براحة وقال:

- حقاً أنا سعيد

- أتمنى لك السعادة دائماً يا أخي

ولكن سريعاً ما انكفهر وجهه عندما تذكر كلمات أثير التي أصبحت

كالأشواك التي يضجع عليها ويتألم، فلاحظه عُدي وقال:

- ما بك الآن!؟!

- أنا قلق من تهديدات أثير.. لا أستطيع أن أرتاح أو تكتمل
سعادتي مع كلماتها تلك

فوضع عُدي يده على كتف أوس وهو يبث فيه الأمان وقال:

- لا تخف أبدًا!، تلك الملعونة تحاول بث الخوف إلى قلبك
لتضعف عزيمتك وتحقق هي ما تريد، أنت تدرك تمامًا أن
الخوف قد يكون سببًا للنجاة؛ كما هو أيضًا سببًا للتهلكة،
اجعل خوفك سببًا في نجاتك ونجاة ثائرة ولا تجعله سببًا
يجعلك تفقدها

زلزت كلمة "تفقدتها" كيان أوس حينما نطقها عُدي؛ فأدرك حينها
أنه في أضعف حالاته التي من الممكن أن يكون عليها، حقًا إنه
يخاف فقدها بعدما وجدها أخيرًا؛ لدرجة قد تجعله يُجن، فقال
بسرعة بعد تفكير:

- اجعل ثائرة في حمايتك من بعدي يا أخي أرجوك، ضع عينك
عليها، احميها من أجلي.. وإن حدث أي شيء خطير
مستقبلاً، لا تترك بنات خالاتك وحدهن أبدًا

عكس عُدي ما بين حاجبيه بقلق، فهو يعلم أن كل ما يقوله أوس
يجب أن يُضع بالحسبان، وها هو أوس المحارب القوي والقائد
الأمثل يعترف بضعفه ويطلب الحماية، فقال يطمأنه:

- لا تقلق أبدًا يا أوس، أنا بجانبك بإذن الله ولن أتركك مهما حدث.

فابتسم أوس واحتضنه بقوة أخ يشتد عضده بأخيه. ثم ذهب عدي بعدها بقليل، وجلس أوس ينتظر سامي، فجلس يتذكر كل ما مر اليوم من الأحداث؛ وفاء يبتسم أحايين ويتوتر أحايين أخرى، حتى أخرجه سامي من حالة التذكر تلك وهو يمسك كتفه يهزه، فنظر إليه أوس وابتسم حال ما رآه، ثم قال:

- لم تتأخر كثيرًا!

- لقد أنجزت مهمي التي عليّ اليوم بسرعة

ثم صمتا قليلاً، حتى أردف سامي:

- لقد أخبرتني ثائرة قبل أن آتي إلى هنا بطلبك

فابتسم أوس، ثم سأله بلهفة:

- وما هو رأيها ورأيك؟

- اممم

قلق أوس وارتعش صوته وهو يقول:

- ما الأمر؟.. هل لـ..

فضحك سامي وقال:

- لا تفلق!، فأنا مسرور لطلبك وأختي كذلك مسرورة

فتنهذ أوس بارتياح، ثم قال:

- هل قالت لك شيئاً؟

- مثل ماذا؟

- أي شيء بخصوص طلبي!

- لا.. ثائرة رغم قوتها وصلابتها خجولة جداً، ولكن عندما

أخبرتني كانت مسرورة.. كما إنها أختي وأنا أعرفها جيداً يا

صهري!

ابتسم أوس بسذاجة لكلمته الأخيرة وكأنه أصبح طفل صغير في كل

ما يتعلق بثائرة، ثم تماسك وسأله بجدية:

- أخبرني الآن ما هي أحوالك؟.. هل أنت سعيد بوجودك في

موقعك؟

تنهذ سامي ونظر إلى اللاشيء، ثم قال دون أن ينظر إليه:

- أنا أشعر دائماً بجانب زملائي بأنه ينقصني شيئاً ما!

- كيف؟

- أنا لست قوياً مثلهم؛ هذا بداية الخيط لكل شعور أشعر به

بعدها

وضع أوس يده على كتفه وقال:

- أتدري من كان يشعر مثلك هكذا في يوم من الأيام؟

عكس سامي ما بين حاجبيه وقال:

- من؟

- أنا

اندهش سامي وقال:

- أنت!، كيف؟

- كما أخبرتك.. والآن انظر إليّ؛ أصبحت قائد مجموعتي

الخاصة والفريدة من نوعها.

ثم استطرد بعد أن رأى علامات الاندهاش على وجهه:

- في يوم ذهبت لأبي وأخبرته بشعوري عن اختلافي رغم إنني

من عشيرة أوس التي سُميت تميماً بها؛ بالجد الأكبر لنا،

وأخبرته بأنني سأخرج من القبيلة حتى لا أكون مصدرًا

لإحراجه يومًا ما.. لكنه ادهشني بإبتسامته وهو ينظر إليّ

ويقول: " لا تنظر إلى أي أحد وتقارن نفسك به، لأنه وقتها لن

تقدم على فعل أي عمل؛ لأن هذا سيحبط عزيمتك وسيشعرك

بأنه ينقصك شيء ما على الدوام، انظر إلى نفسك فقط

وعلمها ما لم تتعلمه حتى الآن، ثم قارن نفسك الجديدة بتلك

القديمة؛ حينها ستجد فرقاً شاسعاً قد حدث" .. ومنذ هذا اليوم
وأنا أقارن نفسي الجديدة بنفسي القديمة ولا أحد غيرها.

ابتسم سامي، فقال أوس مرة أخرى:

- اعمل على نفسك واسعى للوصول للنقطة التي تريدها..
يمكنك أن تتدرب جيداً وتصبح مقاتل قوي في أي وقت طالما
تريد ذلك، وأنا أرى كم أنت مؤهل لتصبح قائد يوماً ما، أنت
أهلٌ لذلك يا فتى

فتحمس سامي وقال:

- أريد منك أن تدربني!
- سأقوم بذلك؛ فلا تقلق
- جيد إذن

ذهب الجميع إلى منازلهم بعد انتهائهم من دوامهم وأعمالهم وكلٍ يحمل خبرًا مُفرحًا أو خبرًا مُحزنًا، أو لا يحملون أي شيء سوى التعب الذي يودون تبديده بالتنعم بالسكينة مع أحبائهم والسمر مع ابتساماتهم وضحكاتهم. دخل أوس إلى منزله ليجد أخته تجلسان في غرفة المعيشة وهما تتسامران ببشاشة، واللتان فور دخوله لغرفة المعيشة قامتا واقتربتا منه وعلى وجهيهما ابتسامة جزلة ولعوب وفرحة في ذات الوقت؛ فنظر إليهما بتوتر طفولي وقال:

- يبدو أنني سأصير شغلتكما هذه الليلة

فصاحت طيبة بفكاهة:

- بالتأكيد!!

ثم استطردت بسعادة:

- لقد حكيت لي سيلان ما حدث اليوم عند سما وما كشفته من

مشاعر.. على الرغم من أنني أكره تلك الملعونة أثير إلا أنني

ممتنة لها كثيرًا، فهي بالتأكيد ستكون السبب في الخبر السار

الذي أخبرتني أنك ستخبرنا به الليلة

فابتسمت سيلان بدورها وقالت بحماس وهي تتعلق بيده:

- هل طلبت منها الزواج ووافقت؟

نظر لهما ثم نظر أمامه وابتسم ابتسامة رائعة حالمة وهو يقول:

- نعم

تركت الفتاتان يداه وهما تقفزان وتصيحان بسعادة وهو يقف بينهما
يضحك بفرحة تملأ كيانه.

كذلك طارق الذي جلس على الأريكة بجانب والديه أمام التلفاز،
يأكل حبات الفشار مستجماً، حتى نظرت له والدته وعلى ثغرها
ابتسامة عجيبة غريبة من تلك الابتسامات التي تبتسمها الأمهات
عندما تريد شيئاً أو أن يكون في بالها فكرة ما، فأربكته، ثم تبادلت
النظرات مع والده الذي نظر إليه بدوره وعلى ثغره نفس الابتسامة
المربكة، فقال بارتياح:

- ما بالكما؟.. هل سنتسلان علي هذه الليلة؟

فقالت والدته بسعادة:

- لا شيء على الإطلاق يا عزيزي، كيف تقول ذلك!

فضيق عينيه وهو يقول بمكر:

- عليا يا زوزو

فضحكت والدته وقد أقدمت على الحديث معه دون لف ودوران وهي تقول:

- هل رأيت سيلا اليوم؟

نظر طارق بريية ممزوجة بتوتر خجل يحاول مداراته وقال:

- وما مناسبة السؤال؟!!

- لا شيء، كل ما في الأمر أنني أحببت تلك الفتاة من كل قلبي،

لقد زارتنا أكثر من مرة وكانت لطيفة جدًا ومضيافة إلى حد

أدهشني

فقال وهو يحاول أن يخفي ارتبাকে وتهدة دقات قلبه التي تتزايد وستفضحه بضخ الدم الذي سيصل إلى أذنيه لا محالة:

- إنها فعلاً إنسانة لطيفة ومهذبة

فصاحت والدته وهي تقول:

- هذا جيد جدًا

قفز طارق من مكانه فزعًا على حماس نبراتها وعلوها بسعادة، وهو يقول:

- ما خطبك يا أمي؟

- أنا فقط سعيدة للغاية

ثم نظرت لوالده المنهك في الاستمتاع بمشاهدة التلفاز والإستماع
لهم في نفس الآن؛ وهي تضحك، ثم قالت:

- يجب أن نتجهز يا رضوان

فأوماً لها موافقاً؛ مما أثار دهشة طارق وهو يقول:

- تتجهزوا لأي شيء بالضبط؟

- للمناسبات السعيدة يا عزيزي

فنظر لها باستسلام؛ ليغمز له والده بمعنى أن يترك والدته تخطط
لما تشاء وتفكر في ما تشاء ولا يقلق، فسكت وتابع أكل حبات
الفشار الشهية وهو يشاهد التلفاز ولكن كانت في عينيه لمعة هذه
المرّة لبداية حلم سيسعى إليه قريباً وقد أنارته له والدته.

في الصباح الباكر اجتمع شيوخ القبيلة وكل من سيلان وطارق وأوس؛ حتى سليم الذي أصر على الحضور طمعاً في خوض تجربة أخرى لم يجربها من قبل، وكان هذا القول مصدر حنق سهيل الذي لا يرى أي حق في طلبه، بل يراه جلفاً، وتدخل في ما لا يعنيه ولا شأنه، كيف له أن يطلب مشاهدة ما سيحدث وكأن سما ليست إنساناً قد تجرحه النظرة وهي في أسوأ أحوالها، كيف له أن يطلب أن تكون مادة تزداد بها خبراته وكأنها لا تحمل قلباً يمتلك مشاعر!، كما كان شعور طارق الذي كان كل يوم ينفر منه أكثر وأكثر، وكم تمنى أن يُلقى به أوس، بل أن تلقيه القبيلة كلها بالخارج. أما أوس فكان في عالم آخر ملئ بالقلق بسبب ذلك الشعور السيئ الذي يراود قلبه بثقة، يشعر بأن شيء ما سيء سيحدث ولكن لا يعرف متى وكيف؟.

وقفت الشيوخ بقوة وبدأوا في تلاوة القرآن، وشيخ آخر كان يقرأ على الماء الذي سيُغمس به الخنجر، وبدأت سما تتلوى وهي تزوم كوحش كاسر؛ جعل سليم يندم على إصراره على الحضور، فنظر له طارق وهو ينهره:

- لا تخف وأنت واقف هنا، لأن لو لم تتماسك ولم تستطيع طرد
الخوف من قلبك سيمسك الأذى؛ وإن لم تستطع ذلك فاخرج
من هنا على الفور

تردد سليم قليلاً ولكنه تماسك وهو ينظر لسيلا يحاول أن يظهر
أمامها أنه ليس جباناً وقال:

- ربما الأمر مخيف ولكنني لست جباناً يهرب

فنظر له طارق بمقط وهو يراه ينظر لسيلا يحاول أن ينال إعاجبها
فتقدم أمامه ليمنعه من النظر إليها وهو يقول لنفسه: "هذا الأحمق
يغيظني يوماً بعد يوم.. كيف له أن ينظر هكذا وهو بين عشيرتها
ويقف بجانب أخاها؟، كيف يكون لرجاً هكذا وهو يحاول أن يُظهر
لها شجاعته الواهية غير الحقيقية؟.. يا له من أحمق!"، ثم نظر إلى
أوس الشارد بوجهه القلق وروحه التي تشع خوفاً، وقال مرة أخرى
بينه وبين نفسه بقلق: "يبدو أن أوس ليس في مزاج جيد اليوم
ليلاحظ ذلك الأحمق ويعلمه درساً.. أدري كم هو قلق الآن على
ثائرة، لكن كلنا قلقون أيضاً، أتمنى أن يمر اليوم بسلام حتى يعود
لطبيعته ويخلصنا من ذاك الأحمق الذي يقف بيننا"

وفي الجهة الأخرى من المكان كانت ثائرة تجلس مع سلمى ووالديّ
طارق في الحديقة، كانوا يتحدثون ببهجة عن أمور كثيرة كانت
إحداها طلب أوس الزواج منها، وكانت الأمور تسري لطيفة

وهادئة؛ حتى جاء طفل من الأطفال المُعذبين يهرول وعلى وجهه علامات الشحوب والإعياء وهو يقول:

- هناك امرأة طليقة تصدر أصواتًا مرعبة، وقد قتلت رجلين
وفتاة في غرفتها

صرخت سلمى باسم عُدي، وكذلك والدة طارق بلوعة، وهبت ثائرة واقفة والدنيا تدور في عينيها، ثم هرولت وخلفها سلمى وكلاً من والدي طارق، كانت عيناها تدور في كل مكان بحثًا عن أوس، ممنية نفسها بأنه على قيد الحياة ولم يصابه أذى، حتى وقفت أمام باب غرفة سما وقلبها يتواثب بخوف بأن تجد جثث الذين أحببتهم فيها، ثم أخذت نفسًا عميقًا وفتحته بقوة؛ لتتفاجأ بوجودهم جميعًا دون أن يصابهم أذى؛ فعكست ما بين حاجبيها بدهشة ولكن ارتخى قلبها براحة وارتخت معه دمعة سقطت من عينيها أمام دهشة الجميع الذين نظروا إليها بقلق. عندما رأى أوس ثائرة أمامه بهذا الشكل من الاندفاع والخوف؛ انقبض قلبه، ليظهر من خلفها فتى صغير شاحب الوجه وأبيض العينين ممسكًا بفستانها وهو يبتسم إبتسامة خبيثة، مقببة، ثم اختفى بها من أمام عينيها، فارتعش جسد أوس ورجفت عينيها، وتفصد جبينه بعرق بارد حال ما رآها تختفي من أمام عينيها، وشهقت سيلا بلوعة، وصاح طارق وثارَت الجلبة بين الجميع وضحكات صوت أثير تتعالى بينهم، فأمسك

عُدي بيد سيلا يجذبها ويخرجها من المكان وهي تتمسك بيد أخيها وتناديه، كما كانت عينه مثبتة على سلمى التي تبكي وهي مقبلة بدون وعي وهو وينهرها عن الدخول، فأمسك طارق بيده وقال:

- اذهب لزوجتك واترك لي سيلا

فنظر في عينيه، ليستطرد طارق بحدة ونفاذ صبر:

- اتركها لي، لا تقلق إنها بأمان معي

فتركها عُدي على مضض، فحاوط طارق كتفيها بذراعه وسحبها من أمام أخيها بالقوة وأخرجها بالخارج مع البقية. وكان كل ذلك يدور أمام عينيّ أوس وكأنه بالحركة البطيئة والصفير يتعالى في أذنيه.

ثم قال طارق لعُدي وهو يعطيه سيلا:

- ابق معهم، وأنا سأدخل مرة أخرى لإنهاء الأمر مع سهيل والشيوخ، ثم سأخرج مع أوس بعدها لنرى ماذا سنفعل

وافقه عُدي، ثم دخل طارق بين صرخات والدته وسيلا. بينما كان أوس ما زال على حال وقفته مصدومًا، فوقف طارق أمامه وهو يهزه يسترجيه بجزع بأن يخرج من صدمته، حتى نظر أوس في عيني طارق بقوة، ليتوتر طارق من نظراته تلك التي اتجهت سريعًا ناحية سما وعلى وجهه غضب مخيف، فنظر طارق لسهيل وأشار

له بأن يقف أمام سما، ووقف هو أمام أوس يعترضه قبل أن يذهب ناحية سما. صرخ أوس بكل قوته باسم ثائرة وهو يتفلت من قبضة طارق التي تحيط به وتمنعه من الوصول لسما، كانت صرخاته مدوية وكأنها براكين تثور وزلازل تضرب بقوة، فلم يظهر صوت طارق بينها ليسمعه وهو يقول:

- لقد انسحبت أثير والشياطين من جسدها الآن.. ستقتلها يا أحمق وليس لها ذنب.. أفق يا أوس

ولكن كانت كل صرخات طارق بلا جدوى، حتى استعمل طارق معه العنف بأقصى ما لديه بعد أن شعر أنه لن يستطيع الإستمرار بالإمساك به ليمنعه؛ فصار يكيل له الضربات، وأحاطت بهما الشيوخ لتهدأ من روعه، وبعد إصرار غير عادي من طارق بإيقافه ومن الشيوخ بتهدأته؛ تماسك أوس وعينيه تُخرج شرراً وغضباً، فوقع طارق من تعبته وهو يقول له لاهتاً:

- اهدأ حتى نفكر ونرى ما يجب علينا فعله

ثم نظر إلى الشيوخ وسهيل وقال:

- يجب أن ننهي ما كنا سنفعله بسرعة

فظهر صوت سما وكأنه آتي من بئر سحيق وقالت:

- لا

صمت الجميع وعلى وجوههم علامات التعجب خاصةً إنها كانت تنتظر ذلك اليوم الذي ستتخلص فيه من كل هذا التعب، بينما نظر لها سهيل بدهشة وقال:

- لماذا يا سما؟!!

نظرت إليهم جميعاً، ثم شاورت بدون صوت إلى ورقة وقلم، ففهم سهيل وأحضر لها ما طلبته، ثم نظرت لطارق وشاورت له بأن يجاورها، فعكس سهيل ما بين حاجبيه بدون رضا ودون فهم، وكذلك لم يفهم البقية مما طلبته شيء. وبعد أن نفذ لها طارق ما تريد؛ كتبت الآتي:

- "لقد طلبت منك الجلوس بقربي لأنني لاحظت أنك الوحيد الذي عندما يحضر لا يستطيع أولئك الشياطين التي تحضر من خلالي التركيز في قراءة أفكاره، أنهم يبذلون أقصى ما لديهم من قوة للحفاظ على قوتهم أمامك لتفاديك إذا هاجمتهم، ولا أدري ما السبب ولكن أظن أن هذا في مصلحتنا الآن لإنقاذ نائرة"

فنظر لها طارق بلهفة على ما تنوي عليه، ثم كتبت:

- "كيف؟"

- "ستفكون قيدي وستنتبه أثير لذلك وبالتالي ستستدعي من سيأخذني إليها، ولكن قبلها ستكونون قد زرعتم جهاز تتبع فيّ

وهكذا ستعرفون المكان الذي فيه أثير، وبالتأكيد ستكون تائرة معها"

ثم شطبت على الكلمات المكتوبة للخطر. أعجب طارق بالخطبة ولكنه كتب:

- "الخطبة ذكية، ولكنها ستعرضك للخطر!، دعينا نفكر في خطة أخرى"

فكتبت:

- "أعلم أن الأمر خطر، ولكن ليس هناك حل غير هذا الحل؛ لأنه من المستحيل الوصول إلى مكان أثير بسرعة، وهذا قد يعرض تائرة للموت على يد تلك الملعونة، كما أنني السبب في تلك المشكلة نوعًا ما"

- "لم تكوني يومًا مشكلة!، والحقيقة هي إنك في مشكلة، سأعرض تلك الخطبة عليهم، وسأرى ما يجب علينا فعله"

- "اخرجوا من الغرفة عند التحدث عن الخطبة"

فكتب طارق:

- "حسنًا.. ولكن هل أنت متأكدة من أن أثير ستحاول أخذك من هنا"

- "نعم، فأثير لا تنتهي من دُماها وألعابها إلا بعد أن تمزقها، لن تتركني حتى أموت، أنا متأكدة من ذلك"

شعر طارق بالحزن والشفقة على حالها، ولكنه وعدها كما وعد نفسه بتخليصها مما هي فيه حتى وإن كان سيلفظ أنفاسه الأخيرة، ثم نظر إليهم، كما كانوا هم ينظرون إليهما بفضول، ثم قال:

- دعونا نخرج من هنا!

خرجوا جميعهم من الغرفة وابتعدوا عنها بدون فهم، ثم نظر إليهم طارق، وأخبرهم بكل ما دار بينه وبين سما، ليثور سهيل بعدها وهو يقول بغضب:

- وهل ستنفذون خطتها وتعرضونها للخطر بكل تلك السهولة؟

فقال طارق:

- لا تقلق يا سهيل، بإذن الله لن يحدث لها مكروه، فك..

فقاطعه سهيل بحدة وهو يقول:

- إنها لا تعني لكم شيئاً، بالطبع تهكم تائرة، لكن لا أحد يهتم بتلك المسكينة، لأنها لا تعني لكم شيئاً، لكنها تعني لي كل شيء.. ولن أدع أي أحد مهما بلغت مكانته في قلبي أن يُلقي بها إلى الهاوية

حينها صرخ أوس بوجهه وقال:

- هل تنسى من نحن يا أحمق!، هل تظن فعلاً أن أفراد قبيلة أوس قد يضحون بالآخرين مقابل مصالحهم؟.. هل جننت لتفكر بهذا؟، سما مهمة كما ثائرة حتى وإن كانت الأخيرة تخصني وأريدها أن تكون زوجتي

فصمت سهيل، ثم استطرد أوس:

- أعلم أن هذا صعب عليك، وربما لو كنت مكانك كنت قلت ما قلته وفعلت ما فعلته، ولكني كنت سأقبل الأمر رغماً عني وسأفكر جيداً، سما إن رجعت فنسبة خطر الموت عليها قليلة بالنسبة لثائرة

ثم بلع ريقه واهتز صوته وهو يقول بخوف:

- ربما تتعرض ثائرة الآن للتعذيب أو تتعرض لخطر القتل، أما سما فنسبة تعرضها للقتل على يد أثير قليلة، لأن تلك الملعونة لن تقتلها بتلك البساطة، لقد وسمتها حتى تقتلها ببطء، سما لن تموت إلا بعد أن تفقد قدرة تحملها وتُنْهَكَ روحها، أو أن يهلك جسدها تماماً.

هدأ سهيل وهو يفكر بمنطقية كلمات أوس، لكنه كان يأبى رغم كل هذا أن يقوم بتركها تقوم بتنفيذ تلك الخطة على حساب حياتها وأن تكون وحدها، فقال:

- إذا نويتم على تنفيذ تلك الخطة؛ سأكون معها ولن أتركها تُأخذ وحدها، كما أن هذا في مصلحة ثائرة كذلك، فإذا أخذت سأحميها أيضاً وإن كان هذا على حساب حياتي

نظروا إلى بعضهم البعض، فاستطرد بصرامة:

- ولا مجال للمناقشة

فقال أوس:

- ليس لدينا مانع، بل ربما هذا أفضل لمصلحة الفتاتان.. ولكني

كنت أود الذهاب بنفسى؛ هذا كل ما فى الأمر

- هل تشك بقوتي وقدرتى يا أوس

- أبداً

- إذن هل تشك فى أننى لن أقوم بحماية ثائرة كما سأحمى سما؟

- بالطبع لا

- إذن لا فرق بينى وبينك إذا ذهبت أنا أم ذهبت أنت

- حسناً يا أخى، لك هذا الأمر

جلست نائرة تتأوه من شدة الألم الذي احتل جسدها، وكان روحها تتلوى وتحرك جسدها دون إرادة منها كطير مذبوح، تشعر بأن هناك من قام بتمزيقها إلى أشلاء صغيرة بل إلى جزيئات صغيرة ثم قام بتجميعها مرة أخرى. فافتрشت الأرض مرة أخرى دون أدنى مقاومة، ثم تنامى إلى سمعها صوت هسهسة وبعض الضحكات المرعبة، كانت الأصوات تتضح أكثر كلما مر الوقت على حاسة سمعها، حتى شعرت بقرب تلك الأصوات منها، ثم قالت بثقل بعد أن استطاعت التحكم في عضلات لسانها قليلاً:

- من هناك؟

شعرت بأن أحد ما يقترب منها في هذا الظلام الحالك الذي يحيط بها، فتراجعت بريية؛ لتتعالى ضحكات أثير التي كانت تقترب باستمتاع وهي ترى فريستها كالمذبوحة أمامها ولم تتعافى حواسها بالشكل الكامل بعد الانتقال الأثيري الذي حدث لها، ثم قالت بنبرة استفزازية:

- ألا ترينني يا نائرة؟

- ...

- ماذا حدث لك!، هل فقدتِ بصرك، وتوقف لسانك عن العمل
مرة أخرى

ظلت نائرة صامته ليس لخوفٍ فيها بل لعدم قدرتها على التواصل
بتلك الحالة، كانت فقط تشعر بالقهر والعجز والاستفزاز كما كانت
تشعر بالقلق مما قد يحدث قبل أن يصل لها أوس وجماعته.
لتستطرد أثير مرة أخرى باستمتاع:

- سأتركك قليلاً حتى تستعيدين وعيك وحواسك كاملة؛ فلن
أهوى تعذيبك وأنتِ شبه ميتة.. لا أريدك أن تموتي من أول
صفعة وحسب

ثم تركتها وذهبت وهي تضحك بجنون. نظرت نائرة حولها بتوتر
لعدم رؤيتها أي شيء خاصةً وهي تشعر بعدم الراحة في هذا
المكان الذي تتواجد فيه، رغم أنها لم ترى النجمة السداسية
المرسومة تحتها ولا الدائرتان التي تحيطان بالنجمة وعلى كل
طرف طلسم، كما لم ترى الكلبان الأسودان اللذان يقبعان أمامها
بعيناهما الحمروتان اللتان تشعان ناراً، وجثة الصبي التي بجانبها.

عندما وصلت الأخبار لسامي؛ جن عقله وترك ما في يده وركض بأقصى سرعته، -ومن خلفه طيبة- سرعة كان يحتاجها ليكسب السباق الذي شارك به من قبل ويكون مثل أقرانه من عشيرة أوس. كما بكى بكل حرقة طالقت قلبه حينما سمع أن نائرة اختطفت من قبل أثير. وعندما وصل كانت سما تقف بجانب طارق وأمام سهيل وهي تكتب شيئاً ما على ورقة، فقابله أوس وهو يهدأ من روعه؛ حينما كان سامي يقول بلوعة:

- إنها كل عائلتي الوحيدة يا أوس، إنها المتبقية من رائحة أبي وأمي.. أرجوك جدها قبل أن تتأذى

اغرورقت عينيّ أوس بألم وقال وهو يهدئه:

- سنجدها في أسرع وقت، لا تقلق

ثم نظر لكل من سما وطارق وسهيل واستطرد:

- قل لي!، هل قمت بتحسين نفسك؟

- نعم!

- إذا انظر إليهم.. نحن نستعد للوصول إلى نائرة الآن

نظر إليهم سامي من بين دموعه الغزيرة، ثم قال بعدم فهم:

- كيف؟! -

وقبل أن يشرح له كانت طيبة قد وصلت، فهدأها أوس هي الأخرى
ثم شرح لهما ما ينون على القيام به، فنظرت طيبة لسما بشفقة
وقالت:

- أتمنى أن لا يصيبها مكروه هي الأخرى

(٣٨)

وقفت سما بتعب وهي تقول:

- يجب أن تفكوا قيدي الآن لأنني أشعر بهم يقتربون، ويجب أن

تتبتعد أنت أيضًا يا طارق لينقلوني بسرعة كافية

فابتعد طارق، وقام سهيل بإخراج المفاتيح ليفك قيدها، لتقول له
برجاء:

- أرجوك تراجع عن فكرتك في الذهاب معي يا سهيل

فنظر لها بحدة وقال:

- هل تريني ضعيفًا؟

فقالت تنفي ما قاله بلهفة، فهي تراه أشجع وأقوى رجل قابلته في
حياتها:

- لا أبدًا، ولكن..

فضيق عينيه وسألها مستفسرًا:

- ولكن ماذا؟!!

أخفضت رأسها وقالت مستسلمة:

- أخاف أن تتعرض للأذى

فابتسم سهيل واستضائت ملامحه وقال دون أن ينظر إليها مستمرًا
في فك قيودها:

- أنا أيضًا أخاف أن تتعرضي للأذى؛ لذا سأذهب معك إلى أي
مكان حتى وإن كان لتحت الأرض.. لن أتركك وحدك أبدًا

ابتسمت هي الأخرى بينها وبين نفسها بعذوبة وحب، وفور أن
وقعت الأغلال على الأرض؛ شعرت سما بتشنجات تستوحش على
جسدها، فأمسك سهيل بيدها بقوة وكأنه يريد أن يبعد عنها الألم
ويتحملة كله عنها، ثم فجأة اختفيا من أمام أنظار الواقفين.

أظلمت الدنيا بعينيّ سهيل فور شعوره بالانبثاق من الهواء، ولكنه كان يشعر بأنه ينبثق من شيء آخر غير الهواء؛ شيء كقطع زجاج متناثرة كانت تهشم جسده وهو يمر بينها، وقف وهو يلهث والطنين يطن بأذنيه، ثم شعر بلهيب يسري على جلده، وشعور بعدم الراحة يراوده، ولكن سريعًا ما عاد إليه بصره تدريجيًا، وذلك يعود لبنيته القوية واختلافه للذان جعلاه يتحمل ذلك الانتقال الأثيري بعكس ثائرة وسما. وقف وهو يشعر بأن هناك شيء يراقبه فظل يتعوذ بالله من الشياطين الرجيمة، حتى وضحت رؤيته ورأى الكلبان وهما يقفان بتحفز وعيناها تنظران ببشاعة، والتقت أذناه أخيرًا أصواتهم المزعجة التي تقبض القلب، فنظر لهما بتحدي وقد انتفضت عروقه تحت جلده، وصار يتلو آيات القرآن من بين أصواتهم التي كانت تملو وهو يتلوها، ثم نظر إلى سما التي كانت تفرش الأرض بجانبه فحملها وهو يتهد براحة بعد أن تأكد بأنها على قيد الحياة، ثم جال بعينه في المكان؛ ليرى ثائرة تفرش نجمة سداسية تحيطها دائرتان وطلاسم؛ فاتجه إليها سريعًا واضعًا سما على كتفه ثم سحب ثائرة من داخل تلك الدائرة، ووضعها في زاوية بجانب بعضهما البعض، ثم وقف أمامهما مستعدًا لأي هجوم

قد يحدث في أي وقت بعد أن اختفى أحد الكلبان وظل أمامه واحد فقط.

(٤٠)

أمسك أوس بالجهاز الذي أصدر صوتًا معلنًا عن تحديد موقع الهدف؛ فبش وجهه فور أن رأى أن المكان ليس بعيدًا كل هذا الحد، واستبشر البقية بالبشارة التي ارتسمت على وجهه، ثم قال بحماس وعزم:

- هيا بنا للانطلاق

فاقتربت سيلا من أوس باندفاع وهي تقول:

- سأتي معكم

نظر إليها طارق الواقف بمحازاتها وعكس حاجبيه بغير رضا، ثم نظر لأوس الذي اعتلت وجهه علامات غير راضية كذلك؛ فارتاح على إثرها طارق، ثم قال أوس لسيلا:

- أنت لست مؤهلة للخروج في عمليات خاصة يا سيلا، هذا

خطر، كما أننا لا نعرض نساء قبيلة أوس للخطر وأنتِ

تعرفين هذا!

- ولكن هذه المرة مختلفة، يمكنني السيطرة على أثير وأدعمكم
ولو قليلاً في هذه المهمة، أيضاً لأعتني بسما وثائرة
وبمصابهما، فهما بالتأكيد الآن في أسوأ أحوالهما نتيجة
الانتقال الأثيري

فقال طارق هذه المرة بأعصابٍ مشدودة:

- وماذا إن حدث شيء ما وتعرضتي أنتِ الأخرى للأذى
وأصبحتن ثلاثة نحاول حمايتهن!، أرجوكِ لا تكوني سبباً
آخر نخاف عليه، ولا تقلقي من ناحية أثير فأنا سأكون لها
بالمرصاد بإذن الله

ثم قال أوس:

- كل ما قاله طارق صحيح يا سيلا؛ فأنا لن أعرضك للخطر
مهما حدث

فاستسلمت سيلا وقالت:

- حسناً!، الله معكما

(٤١)

دخلت أثير عليهم ثم صفقت الباب بقوة وهي ترى سهيل المتحفز للقتال، فابتسمت بخبت وهي تقترب كحية تتهادى لقتل فريستها وقالت:

- مرحبًا بك أيها القوي.. هل أرسلك أوس هدية لي نيابةً عنه؟

فزمجر سهيل وهو يقول بكل كره وقرف:

- اخرسي أيتها الماجنة الملعونة

فكشرت أثير بغل وانقلب وجهها، وقالت بغضب:

- كنت أعلم أنكم ستتركونها حتى تعرفوا مكاني.. لكن ماذا

يفعل شخص واحد منكم أمامي وأمام شياطيني!!

ففهم سهيل إنها لا تعرف الخطة حتى الآن، لتقول مرة أخرى

بغضب وعينيها تنقلبان:

- شياطيني تخبرني بشئ

ثم نظرت إلى سما الممدة دون وعي وهي تصيح غضبًا:

- تلك القدرة برأسها شيء ما على معرفته

واندفعت ناحيتها مهتاجة، فتطاير الغضب من عينا سهيل وأوقفها دافعًا إياها بعيدًا. تأوت أثير ونظرت إليه كالمجنونة ثم ضحكت كثيرًا كضبع يتلوى جوعًا، ثم قالت بغلظة قوية للكلبان الضخمان الأسودان اللذان ظهرا من العدم:

- اقتلاه الآن

فهجم عليه الكلبان بشراسة، ووقف سهيل أمامهما بكل بسالة، قاومهما ولكمهما ولكن كانا كالنار المتقدة لا يؤثر بهما شيء وتكتوي قبضاته هو بتلك النار؛ وكان ذلك أمام عينا أثير وبين ضحكاتها المستهزأة، فأدرك سهيل خطأه، وأدرك أن القبضات القوية لن تكون نافعة أمام هذان الشيطانان، وأن القوة التي ستهاجمهما هي القوة التي ستخرج من إيمانه وعدم اليأس، فارتفعت معنوياته بذكر الله ثم ألقى بقبضاته عليهما كالوبيل ولكن هذه المرة كانت قبضاته توجعهما. فصرخت أثير بغل وهي تقول:

- لن تهزمني أبدًا!

ثم جلست القرفصاء وتمتمت بشئ ما وهي تخط على الأرض بيديها، ليزداد بعدها حجم الكلبان ويزدادا بشاعة، ولكن هذا لم يُفقد لسهيل عزيمة حتى وإن ضعفت قواه أمام قوتها الكبيرة، لكن ثائرة قد قلبت الموازين عندما أفاق من مرقدتها وصارت تتلو آيات القرآن بعزم شديد وإيمان أشد، فخارت قوة الكلبان وفسد ما كانت

تنفث فيه أثير التي ثارت وماجت أكثر من ذي قبل، ثم اتجهت ناحية الفتاتان؛ فوقفت ثائرة وهي تستند على الحائط وهي تحاول مقاومة التخدير الذي يحتل جسدها؛ فابتسمت أثير كالمجنونة وهي ترى أن فرصتها حانت لحرق قلب أوس إلى الأبد، لكن لم يسعفها الوقت فور اقتحام أوس المكان مع فريقه. فأمسك أوس بها من معصمها وهو يقيدها بعنف خلال سيل الشتائم والسباب واللعنات التي أطلقها عليه، ثم دفعها بعيداً ناحية زياد الذي قام بأخذها خارجاً مع ثلاث حراس للخلاص منها نهائياً، واتجه مسرعاً ناحية ثائرة ليساعدها في الوقوف، وعاون البقية سهيل في قتل الكلبان اللذان تحولوا إلى رماد بعد قتلها.

اقترب سهيل من سما بلهفة مرتعباً من عدم تحركها حتى الآن، لم تتحرك ولم يرف لها جفن إلا من أنفاس واهية تنخفض حرارتها مع مرور الوقت؛ وكأنها على وشك مفارقة الحياة، فشحب وجهه وارتعدت ملامحه وهو يهزها بين يديه صرخاً بهستيرياً:

- افيقي يا سما

اقترب منه كلاً من ثائرة وأوس وهما في حالة ذعر مما قد يصبو إليه الأمر، فأمسكه أوس وهو يحاول أن يهدئه، واقتربت ثائرة من سما وهي تفحصها؛ لتقول:

- علينا نقلها سريعاً إلى أقرب مشفى

فأردف أوس:

- لقد أحضرنا معنا سيارة مجهزة لحالات الطوارئ وسنأخذها
في الحال إلى مدينتنا

فحملها سهيل بلهفة وأسرع إلى السيارة وهو يدعو أن تظل على قيد
الحياة لتعيش حياة طويلة وسعيدة معه، وقد أدرك أنه لا يستطيع
الابتعاد عنها لشيء نما في قلبه ووجدانه ناحيتها.

نظر كلاً من ثائرة وأوس إلى السيارة المنطلقة أمامهما، فتنهدت
ثائرة وهي تسأله:

- ما الذي حدث؟

- لقد أصرت سما على فك قيودها لتأخذها أثير بعد أن نزرع
فيها جهاز تتبع حتى نعرف مكان أثير ونعثر عليكِ

فاقشعر بدنهما قائلة بحسرة:

- لقد ضحت لأجلي!....

فتنهد أوس بأسى وقال:

- سهيل سيعيش تعيساً للأبد إن أصابها مكروه.. فنحن قوم إذا
أحببنا لم نفارق أحبائنا إلا عند الموت، أي إننا لا نستطيع أن
نحب إلا مرة واحدة فقط

فنظرت له ثائرة بألم وهي ترى الدموع التي تنساب من عينيه
بهدوء:

- ألهذا الحد أنت حزين على سهيل
- نعم!، فهو من عشيرتي؛ أي إنه أخي، أيضاً كان من الممكن
أن أصير مثله الآن؛ أتخبط في القلق والخوف عليكِ
أخفضت ثائرة عينيه بتعب وألم، فقال أوس:

- دعينا الآن نذهب إلى المنزل
ثم تعالت صيحة عالية من خلف المبنى الذي كانا يقفان أمامه،
فانتفض جسد ثائرة واختل توازنها؛ فأسندها أوس بذراعه وقال:
- لقد اختارت نهايتها بنفسها

اندفع سامي يحتضن أخته وهو يبكي أمام البوابة الكبيرة كطفل صغير غابت عنه أمه طوال اليوم، فبادلته نائرة تحتضنه بقوة أكبر وكأنه صغيرها الذي تفتقده، ثم قالت من بين شهقاته تطمئنه:

- لا تقلق أنا بخير

فنظر إليها وهي بين يديه ثم قال وهو يحتضنها مرة أخرى بقوة:

- لقد خفت من أن لا أراك مرة أخرى يا أختي.. لا تتركيني أبدًا

مرة أخرى وإلا سأكون يتيمًا حقًا

دمعت عيناها لذعره وخوفه عليها، ودمعت أعين المحيطون بهما، ما عدا سيلا التي كانت تبكي والدمعات تنزل من عينيها مدارًا دون توقف، فأمسكت طيبة بذراع أختها وهي تقول بمزاح لتخفف عن الجميع:

- لا تأكل يا سامي أختك وحدك، دع لنا نصيبًا منها، فكما ترى

نحن نقف طابورًا لنأخذ حصتنا، ألا ترى كيف تبدو سيلا

فانفجر الجميع ضاحكًا، حتى سامي الذي فك ذراعيه مبتعدًا بعض الشيء عن أخته وهو ينظر لهما ضاحكًا، ثم قال:

- يبدو فعلاً كم تحتاجان نصيبًا من نائرة

ضحكت الفتاتان، ثم ترك سامي أخته؛ فاحتضنتا الفتاتان ثائرة، وبادلتها ثائرة كذلك بكل مشاعرها، وكان هناك أيضًا نصيب لوالدة طارق ولسلمى اللطيفتان. ولكن كانت الفرحة ناقصة بدون فرحة سهيل وسما، الفتاة المسكينة التي لم تكن تستحق كل هذا العذاب، والفتى المسكين الذي يفقد كل أحبائه بدءًا من عائلته الصغيرة حتى الفتاة التي تعلق بها.. ربما يبدو هذا قاسيًا؛ لكن لا احد يرى الصورة الكاملة كما يراها الله (ولله المثل الأعلى)، الجميع أعمى في نقطة ما، وأحيانًا لا نرى الحكمة خلف الابتلاءات لحكمة أخرى أعلى، ولكن دعونا نقول أن أولئك المعذبون في الأرض دون سبب إلا لاستفحال الشر في الأرض؛ يرضيهم الله بالقوة التي تجعلهم يتحملون ويواجهون، وبنعيم الآخرة الذي لا يستطيع أحد أن يتصوره، كما إنهم الاختبار للمنعمون الذين ربما يقعون في فخ التنعم وينسون ما وجب عليهم؛ فيفشلوا، وأيضًا سبب في دخول الأشرار الجحيم.. إنهم البوابة لبدايات لا نهاية لها، ابتلاءهم صعب ولكن فشل أو جور غيرهم عاقبته أصعب.

خلال يومان استطاع سامي بمساعدة طيبة وفريق المخترقين الوصول إلى أصحاب الأرقام الخاصة الذين كانوا يتواصلون مع حنفي الأعور مباشرةً، كانوا جميعهم كعاصم من مراكز مرموقة وعائلات معروفة، ولكن كان عمل بذرة الشر بداخلهم أقوى من أي مركز مرموق أو سيرة وسمعة، كان الشر متعتهم وهواهم. فتم مراقبتهم بعناية فائقة، ولم يشعر أحدهم بأن هناك خطب ما أو حدث جلل على وشك الحدوث.. بالطبع فغرورهم جعلهم لا يدركون أن لكل ظالم وفساد نهاية، ولا أن يلاحظوا ما كتبه التاريخ على مر العصور في من يشبههم، غرورهم جعلهم يشعرون أنهم ليسوا كأحد سبق؛ فكان غرورهم المسمار الذي دق نعشهم.

بعد المراقبة المكثفة من أوس وفريقه، والبحث المكثف من سامي وفريق المخترقين تم حصر الرؤوس التي تدير تلك المنظومة البشعة في الوطن والتوصل إلى أماكنهم، وصدر القرار من كبار قبيلة أوس ببدء عملية التطهير.

وقف سهيل بجانب فراش سما مغتمًا وحزينًا وهو يراها طريحة
 الفراش منذ يومان، كم كانا يومان ثقلان عليه وهو الذي يتمنى أن
 تفيق ليبدأ معها حياة جديدة بها الكثير من السعادة الخاصة، ولكنه
 في نفس الوقت ممتن لله بأنها ما زالت على قيد الحياة وهي التي
 كانت على وشك ترك العالم نهائيًا.

ثم نظر لسيلا وهي تقول له:

- ستكون بخير بإذن الله، لا تقلق يا أخي

أوما سهيل برأسه وهو يقول ثقة برحمة الله وكرمه وقدرته:

- بإذن الله

ثم ناوله طارق الخنجر، وقام الشيوخ بتلاوة القرآن بصوتٍ عذب
 وجميل؛ جعل السكينة تملأ المكان ومن قبل قلوبهم، ثم أسرع
 سيلا ورفعت جزع سما ثم أمالتها عليها ووضعت رأسها على
 صدرها، حينها اقترب سهيل من قذال سما وأمسك الخنجر وبسمل
 متوكلاً على الله، ثم هم بإزالة الوسم.

تسارعت وتيرة أنفاس سما خلال عملية إزالة الوسم، ولاحظ
 الموجودين ذلك، فازداد بريق أمل خروجها من الغيبوبة التي تعيش

فيها. عندما انتهى سهيل من إزالته جلس على المقعد بجانب فراشها مرة أخرى، وخرجت سيلا ومن خلفها طارق بعد أن دعيا لها بالشفاء العاجل، ولكن ظلت الشيوخ في مكانها تتلو القرآن.

خرج طارق خلف سيلا وهو لا يفهم ما سر تجنبها له خلال اليومان الفائتان، ثم ناداها وهو يقول:

- هل أغضبتك في شيء ما؟

فالتفت له سيلا وعلى وجهها هدوء غير عادي وأجابت:

- لا على الإطلاق!

- لماذا تتجنبيني طوال اليومان إذن؟

- أنا لا أتجنبك!، لكن انتهت مهمتنا بخصوص سما

رفع طارق حاجبيه بعدم إقتناع رغم أنه يدرك صحة منطق كلامها، وقال:

- لا بأس بما تقولين، ولكن هناك شيئاً آخر بالفعل!، أنا أشعر

بهذا!

تنهدت بشئ من نفاذ الصبر، وعكست يديها على صدرها وهي تنظر بجانبها إلى اللاشئ، فسنحت له فرصة ملاحظة كم عيناها جميلتان؛ فابتسم وهو يشيح بنظره عنها ولكن هذه المرة لم يؤنب

نفسه على ذلك، ثم نظرت إليه بعد أن فضت يديها وقالت بحدة
مصطنعة كاد أن يضحك عليها:

- قلت ما عندي، والآن استمحيك عذراً بالانصراف

- لا

فالتفتت له مرة أخرى بعد أن كانت همت بالانصراف ثم قالت
بعصبية:

- ماذا؟!!

ابتسم في وداعة وقال:

- أُمي تؤكد عليكِ زيارتها كما أخبرتكِ

توترت قليلاً، ثم قالت:

- أنت ستكون ليلاً في البيت، أليس كذلك؟

- نعم!

- حسناً سأخبر أخي ثم أحضر طيبة وأذهب إليها بعد قليل

ابتسم بخبث وقال:

- حسناً!

ثم لمح طارق سليم الذي كان يلوح لها من بعيد دون أن تراه؛
فاغتاز وشعر بأنه يريد قتله بأي شكل من الأشكال وفي أسرع
وقت، ثم قال لها وهو يدفعها للرحيل بسرعة:

- هيا اذهبي إلى البيت الآن

(٤٥)

بعد ساعة زارت سيلا وطيبة بيت والدته طارق وهي تحمل بيديها
علبة تحتوي على كعكات من صنع يديها، وبعد أن تجاوزت عتبة
البيت وسلامها مع السيدة زينب والدته؛ دخلت تسلم على والده في
غرفة المعيشة؛ لتجد طارق جالسًا وواضعًا قدمًا على قدم وهو
يبتسم ابتسامة لعوب ويقول:

- مرحبًا بكما

صُدمت سيلان واحمر خديها، فقال:

- هل ظننتِ أنني سأكون خارج البيت نهارًا؟
- نعم!.. لأنني ظننت أنك ستذهب لعملك!
- لقد اتصلت بهم في الصباح الباكر وأخذت إجازة اليوم
- أنت مخادع مراوغ
- وأنتِ سانجة

فنهره والده وقال:

- لا تغضبها يا ولد

فابتسمت سيلا ابتسامة منتصرة تغيظه، ولكنه قابلها بأخرى عذبة،
فخجلت وتوترت وخرجت سريعاً إلى الغرفة المجاورة بعد أن
حيث والده الطيب سريعاً.

وقف المسمى حنفي الأعور وهو يصرخ في الهاتف ويقول:

- ماذا تقول؟... كيف تم القبض عليهم بتلك البساطة

-

- هذا لأنكم حفنة أغبياء

وفجأة كُسر الباب واقتحم ثلاثة أفراد، لا يظهر عليهم أنهم عناصر من الشرطة، أو حتى أتباع لزعيم عصابة يريد فرض سيطرته على منطقته؛ فرغ حنفي الأعور سلاحه وهو يقول:

- من أنتم؟

فظهر عُدي من خلف زملاءه الذين أفسحوا له المكان وهو يقول:

- نحن من نحمل نهايات أمثالكم وأمثال من يمولكم

ثم طقق عُدي بإصبعيه فأنطلقت رصاصة من مكان آخر أوقعت من حنفي سلاحه، فذعر الأخير، ولكنه تماسك وهجم على عُدي بجثته الضخمة، ليتفاداه عُدي بكل بساطة ثم يطرحه أرضاً، كما قام بقية الفريق بالسيطرة على كافة رجاله العشرين الذين لم ينفعه وجودهم وعددهم، ثم قال حنفي الأعور وهو ينظر لعُدي بعدم تصديق على هزيمته بهذا الشكل على يد أربعة أفراد فقط:

- ماذا تكونون؟

فابتسم عُدي بسخرية وقال:

- قلت لك نحن من نحمل نهايات أمثالكم

في ذلك الحين كان أوس وزياد قد استطاعا الامساك باثنين من منشئي تلك المنظومة قبل أن يهربا مثلما هرب الفرد الثالث على الفور بعد أن علم بأمر المخترقين المتخفون الذين عرفوا عنه كل شيء، بل واستطاعوا الوصول إلى حساباته البنكية التي في الخارج رغم سرية الأمر وقوة تلك البنوك في حماية معلومات عملاءها، فنقد بجلده بعد أن أدرك أن نهايته هنا صارت محتومة، وطار إلى الشياطين الذين يحكمون العالم وظن أن لا ملجأ له إلا هم ونسى أن لا ملجأ من غضب الله إلا الله.

(٤٧)

بعد مرور شهر...

وقفت نائرة مع أوس وهي تقول:

- في إحدى غابات ولاية من ولايات أمريكا الشمالية، كانت تنتشر الغزلان في أنحاء تلك الغابة، ولم يكن هناك ما يهدد حياتها على الإطلاق فتكاثرت حتى زاد عددها، ولكن خمن ماذا حدث بسبب تلك الغزلان الوديعة!.. نقصت الرقعة الخضراء وهربت الحيوانات الصغيرة من فئران وأرانب وبالتالي اختفت الحشرات واختفت مسببات زيادة الرقعة الخضراء، وأحيلت الغابة الخضراء إلى رقعة سوداء مهجورة، فما كان برأيك الحل؟!..

فنظر لها أوس مبتسماً بهدوء وجارها سائلاً:

- ماذا كان الحل؟

- أطلقوا قطيع من الذئاب، وكان ذلك القطيع هو الكافي ليعتدل ميزان الطبيعة مرة أخرى، فبوجود الذئاب عادت الحياة في الغابة لمجراها مرة أخرى

فابتسم أوس، لتستطرد مرة أخرى:

- الذئب منذ قديم الزمان وهو ملك متوج بالأساطير، ولكن
للأسف يأخذ عنه الإنسان فكرة سيئة.. فكرة اخترعها إنسان!

- هذا طبع الإنسان يا حبيبتى!

- لكن لا بأس أن نُصبح إنسان من عشيرة أوس

فابتسم ثم أمسك بيدها وقال:

- من قبل أن أعقد قراني عليكِ وأنتِ تنتمين لعشيرة أوس

- ربما لأنني كنت أنتمي إليك منذ البداية

فلثم جبينها وقال:

- وهذا أجمل شيء

ثم شاورا بالمغادرة للمجموعة الصغيرة التي تضم والدته ووالدة
طارق وسيلا وطيبة قبل أن ينطلقا لرؤية سما التي لم تفق بعد، وكم
كان هذا يوجعهما، كانا يريدان سعادتهما أن تكتمل بشفاء سما
وسعادة سهيل، حتى أنهما كانا لا يريدان أن يعقدا القران حتى تفيق
سما مواساةً لسهيل، ولكن مع إصرار سهيل على نشر البهجة
والتفائل وافقا على عقد القران فقط حتى تفيق سما.

ومع اقترابهما من غرفة سما التي يقبع فيها سهيل طوال الوقت؛
تفاجئا بخروج سهيل وهو يصيح بفرحة عارمة:

- أفاقت.. أفاقت

فأسرعاً يدخلان خلفه، ورأوها وهي تفتح عينيها على آخرهما
تبتسم رغم بوارد التعب، ثم نظرا لسهيل الذي وضع يديه على
عينيهِ يبكي بجانبها وهو يقول:

- أخيراً.. أخيراً

فأمسكت سما بأطرافها الناعمة الصغيرة طرف قميصه وقالت
بصوت ضعيف مبحوح:

- لا تبكي بعد الآن يا سهيل

فنظر لها بعينيهِ الخضراء التي تلمع ككريستال أخضر زاهٍ شفاف،
ثم ابتسم وقال:

- حسناً، ولكن عديني بشئ

- ما هو؟

- أن لا تتركيني مرة أخرى

فابتسمت بحب وهي تومئ برأسها إيجاباً

(نهاية الجزء الأول)

بعد ثلاثة أعوام سُرب مقطع تظهر فيه غرفة مليئة برجال ونساء
مُحتفزون في أنابيب مملوءة بسائل أبيض شفاف، وقد كُتب بخط
عريض "تجارب الرجل الكوني ٨٥٩ لعام ٢٠٣٥" ... فابتسم
سامي وهو يلعب لوحة مفاتيح حاسوبه بحماس متقد بعدما أشعل
نار قضيته الأولى التي ظل يبحث حولها كثيرًا.

تمت بحمد الله